من مباحث علوم القرآن

استخدام التعريض في الأسلوب القرآني

دراسة تطبيقية

الدكتورة

نبيلة حامد محمد علي

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالزقازيق

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد

فإن القرآن الكريم قد حاز أعلى درجات البلاغة ونال أقصى درجات الفصاحة تحدى به النبي صلى الله عليه وسلم العرب فعجزوا عن أن يأتوا بأقصر سورة من مثله وهم من هم في الفصاحة والبلاغة، ثم إن فنون البلاغة بأنواعها موجودة في القرآن ففيه علوم البلاغة الثلاثة المعاني[١] والبيان[٢] والبديع[٣].

هذا واشتمال القرآن على علوم البلاغة مع أن المرسل به صلى الله عليه وسلم نبي أمي وجه من وجوه إعجاز القرآن لذلك اهتم العلماء في القديم والحديث بإبراز فنون البلاغة وأساليبها في عباراته فاهتم من كتب منهم في علوم القرآن ببيان اشتمال القرآن على علوم البلاغة فيذكرون

---

(١) المعاني علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال. انظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ص ١٦ ط دار إحياء العلوم بيروت الرابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م تحقيق بهيج غزاوي وانظر التعريفات للإمام علي بن محمد الجرجاني ٢٠١ ط دار الكتاب العربي بيروت الأولى ١٤٠٥هـ - تحقيق إبراهيم الإبياري.

(٢) علم البيان علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. انظر الإيضاح ٢٠١ والتعريفات ٢٠٠.

(٣) علم البديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال انظر الإيضاح ١٦ والتعريفات ص ٢٠٠.

النوع. ويذكرون له بعض الأمثلة التي تفي بالغرض ثم إن المفسرين الذين يهتمون بهذا الجانب عندما يتعرضون لتفسير آية يبرزون ما فيها من أوجه بلاغية.

وقد نظرت في كتب علوم القرآن فوجدتها تذكر التعريض مقترناً بالكناية ضمن علم البيان ومنهم الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه[1] في كتابه الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان.

والإمام الزركشي في كتاب البرهان في علوم القرآن فذكره في النوع الرابع والأربعين[2] بعنوان الكناية والتعريض في القرآن والإمام السيوطي في الإتقان[3] في النوع الرابع والخمسين بعنوان كناياته وتعريضه وقد هداني الله عز وجل لاختبار هذا النوع من أنواع علوم القرآن الذي هو من أنواع علوم البلاغة أيضا لأكتب فيه بحثا موجزًا بعنوان (استخدام التعريض في الأسلوب القرآني دراسة تطبيقية).

---

(1) الفوائد المشوق ١٥١.

(2) البرهان ٢/٢٠٠.

(3) انظر الإتقان ٢/١٠١.

أسباب اختيار الموضوع

١. إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم المتمثل في أسلوبه الرائع اللطيف.

٢. إرشاد الناس إلى اتساع العبارة القرآنية وشمولها لكثير من المعاني.

٣. إبراز جانب من جوانب الترابط الوثيق بين العلوم الشرعية والعربية.

منهجي في البحث

١. قمت بالتعريف بالتعريض من كتب البلاغة وعلوم القرآن مع ذكر أقوال العلماء في الفرق بين التعريض والكناية وبينت الراجح من هذه الأقوال.

٢. ذكرت الآيات التي قيل بالتعريض فيها مع عزوها إلى سورها وبيان أرقامها.

٣. ذكرت تقسيم التعريض مع وضع الآيات التي قيل فيها بالتعريض تحت القسم المناسب لها.

٤. اعتمدت في ذكر الآيات التى قيل فيها بالتعريض على كتب علوم القرآن وكتب البلاغة وعلى كتب التفسير التي اهتمت بذلك كالكشاف للإمام الزمخشري وإرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود وروح المعاني للإمام الألوسي والتحرير والتنوير للإمام ابن عاشور وغيرها.

٥. إن كان في الآية أكثر من تعريض نبهت على ذلك.

٦. ذكرت تفسير الآيات التي قيل فيها بالتعريض بدون استطراد.

من ذكر الأحكام الفقهية أو التفسير بالمأثور ونحو ذلك مع التركيز على موطن التعريض في الآية.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة

أما **المقدمة** فتشتمل على أسباب اختيار الموضوع ومنهج البحث وخطته.

وأما **المبحث الأول** فهو التعريف بالتعريض ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول:

ويشتمل على تعريف التعريض لغة واصطلاحًا وبيان أهميته وتعريف الكناية لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني الفرق بين التعريض والكناية.

المبحث الثاني أقسام التعريض ويشتمل على مطلبين.

الأول القسم الأول للتعريض وأمثلته.

الثاني القسم الثاني للتعريض وأمثلته.

والخاتمة تشتمل على النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

وبعد فلا أدعي لعملي هذا الكمال فالكمال لله وحده فما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي والله أسأل أن يجعل هذا

العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

دكتوره / نبيلة حامد محمد على

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالزقازيق

المبحث الأول

تعريف التعريض والفرق بينه وبين الكناية

ويشتمل على مطلبين

١-المطلب الأول تعريف

التعريض لغة واصطلاحًا وأهميته، وتعريف الكناية لغة واصطلاحًا.

أولاً: التعريض لغة هو ضد التصريح وأصله من العرض للشيء الذي هو جانبه.

كأن المتكلم أمال الكلام إلى جانب يدل على الغرض ويسمى التلويح أيضا لأنه يلوح منه ما يريده والتعريض في خطبه المرأة في عدتها أن يتكلم بكلام يشبه خطبتها ولا يصرح به كقوله إنك لجميلة أو إن النساء لمن حاجتي[١].

٢- والتعريض في الاصطلاح أعني اصطلاح علماء علوم القرآن وعلماء البلاغة.

أما علماء علوم القرآن.

---

[١] انظر معجم الفروق اللغوية للإمام أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ١٢٧/ ١٢٨ ط مؤسسة النشر الإسلامي بقم المشرفة وانظر مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ١٧٨ ط مكتبة لبنان نشرون ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م تحقيق محمود خاطر وانظر لسان العرب للإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ١٨٣/٧ - ١٨٤ط دار صادر بيروت لبنان.

فيقول الإمام ابن قيم الجوزيه[1] في تعريفه هو أن يذكر شيئًا يدل به على شيء لم يذكره وأصله التلويح من عُرض الشيء بضم العين وهو جانبه[2].

وقال الإمام الزركشي[3] في البرهان وأما التعريض فقيل إنه الدلالة على المعنى من طريق المفهوم وسمي تعريضًا لأن المعنى

---

(1) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزيه من كبار العلماء مولده ووفاته بدمشق تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وانتصر له في كل ما صدر عنه له مصنفات كثيرة منها أعلام الموقعين، أحكام أهل الأمة – زاد المعاد ولد سنة ٦٩١هـ وتوفى سنة ٧٥١هـ/ انظر الأعلام للزركلى ٥٦/٦ ط دار العلم للملايين بيزرت الخامس من يونيو ١٩٨٠م، ومعجم المؤلفين لمحمد رضا كحالة ١٠٦/٩ – ١٠٧، الناشر دار إحياء التراث العربى بيروت.

(2) انظر الفوائد المشوق إلى علوم القرآن للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ١٥١ – ١٥٢ط مكتبة المنتبي القاهرة.

(3) هو الإمام محمد بن بهادو بن عبد الله التركي الأصل المصري الشيخ بدر الدين الزركشي ولد سنة ٧٤٥هـ أخذ عن الشيخ جمال الدين الأسنوي والشيخ سراج الدين البلقيني عني بالفقه والأصول والحديث له البحر المحيط في أصول الفقه والبرهان في علوم القرآن وشرح أربعين للنووي توفي سنة ٧٩٤هـ. انظر الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٣٣/٥ – ١٣٥، ط دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

باعتباره يفهم من عرض اللفظ أي من جانبه ويسمى التلويح لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريد[١].

أما تعريف التعريض عند علماء البلاغة

فهو كالآتي يقول الإمام السكاكي[٢] في تعريف التعريض (الكناية إذا كانت عرضية مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض كما تقول في عرض من يؤذي المؤمنين، المؤمن هو الذي يصلي ويزكي ولا يؤذي أخاه المسلم وتتوصل بذلك إلى نفي الإيمان عن المؤذي[٣].

فالإمام السكاكي يرى أن التعريض قسم من الكناية ومعه الإمام الطيبى[٤] حيث قال التعريض هو الكلام المشاربه إلى جانب وإيهام أن

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ٣١١/٢ ط دار المعرفة بيروت ١٣٩١هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي سراج الدين عالم بالعربية والأدب ولد سنة ٥٥٥هـ وتوفي سنة ٦٢٦هـ من كتبه مفتاح العلوم ورسالة في المناظرة انظر معجم الأدباء للإمام ياقوت بن عبد الله الحموي ٦٤٧/٥/٣ – ٦٤٨ ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م – والأعلام ٢٢٢/٨.

(٣) انظر مفتاح العلوم للإمام يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ١٧٣ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي من علماء الحديث والتفسير والبيان كان شديد الرد على المبتدعة أيه في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة متواضعًا ضعيف البصر توفي سنة ٧٤٣هـ له التبيان في المعاني والبديع =

الغرض جانب آخر وسمي تعريضًا لما فيه من التعوج عن المطلوب يقال نظر إليه بعرض وجهه أي بجانبه).

وجعل التعريض قسم من الكناية[1].

وكذلك يحيى العلوى حيث قال في تعريفه (التعريض هو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به) ثم شرح التعريف فقال فقولنا (الحاصل عند اللفظ) عام يدخل تحته لفظ الحقيقة وما يندرج تحته من النص والظاهر ولفظ المجاز وما يندرج تحته من النص والظاهر ولفظ المجاز وما يندرج تحته من الاستعارة والكناية وقولنا (لابه) يخرج به جميع ما ذكرناه لأن الحقيقة وما يندرج تحتها والمجاز وما يندرج تحته كلها مستوية في دلالة اللفظ عليها وأنها حاصلة عند اللفظ ويدخل تحته التعريض فإنه حاصل بغير اللفظ وهو القرينة، وإن شئت قلت في حده (هو المعنى المدلول عليه بالقرينة دون اللفظ)[2]، ولم يجعل التعريض قسمًا من الكناية كما سيأتي قريبًا[3]. وكذلك صاحب جواهر البلاغة حيث قال

والبيان والخلاصة في الحديث انظر الأعلام ٢/٢٥٦.

(١) انظر التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للإمام الحسين بن عبد الله الطيبي ٤٠٧ – ٤١٥ – ٤١٦ ط دار الجيل بيروت ١٤١٦ – ١٩٩٦م.

(٢) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسني العلوي من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن ولد في صنعاء سنة ٦٦٩هـ له الشامل في أصول الدين ونهاية الوصول إلى علم الأصول والطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز توفي سنة ٧٤٥، انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ٨ – ١٤٣، ١٤٤ ط دار العلم للملايين بيروت الخامسة ١٩٨٠م.

(٣) انظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى العلوي =

التعريض أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق وقد جعل التعريض قسمًا من الكناية[١].

أهمية التعريض جاء في الطراز

(التعريض كثير الدور في الكلام له مدخل في البلاغة وموقع عظيم وقد ورد في القرآن كثيرًا خاصة في التعريض بأحوال الكفرة والتهكم والنقص وحط المنزلة والقدر ومواضعه دقيقة تستخرج بالفكر الصافي والرسوخ في قدم البلاغة)[٢].

وجاء في البلاغة العربية (وفي التعريض مزيد إخفاء يجعله أكثر قبولاً حينما يكون التصريح مثيرًا لغضب أو نقد أو اتهام أو عذل أو تلويم أو يكشف أمرًا يجب ستره عن الرقباء فيقوم التعريض مقام الإلغاز والرمز الخفي وهو ما يسمى في اصطلاح الجيوش الشيفرة)[٣].

٣٨٣/١ط الهيئة العامة لقصور الثقافة/ القاهرة ٢٠٠٩م.

(١) انظر جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي ٣٥٠ ط دار الفكر بيروت.

(٢) انظر الطراز ٣٨٥/١.

(٣) انظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن الميداني ١٥٤/٢ طبعة دار القلم دمشق الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

ثانيًا

وأما الكناية

فهي في اللغة مصدر كنى به عن كذا يكنى أو يكنو إذا تكلم بشيء يستدل به على غيره أو يراد به غيره[1].

وأما في اصطلاح

فهي لفظ أريد غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته مثل محمد كثير الرماد كناية عن الكرم وفلانة نؤوم الضحى أي مرفهة مخدومة غير محتاجة للسعي بنفسها في إصلاح المهمات[2].

---

(1) انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي للإمام أحمد بن محمد الفيومي ٥٤٢/٢ ط المكتبة العلمية بيروت وانظر الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية للإمام أيوب بن موسى الكفوي ٧٦١ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩ – ١٩٩٨م تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري.

(2) انظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام محمد عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ٣٠١/١ ط دار إحياء العلوم بيروت الرابعة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م تحقيق الشيخ بهيج غزاوي وانظر الاتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي ١٠١/٢ دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م وانظر جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي ٣٤٦ط دار الفكر ١٣٩٨هـ – ١٩٧٧م.

المطلب الثاني

الفرق بين الكناية والتعريض

اختلف العلماء في العلاقة بين الكناية والتعريض فمنهم من جعل الكناية والتعريض بمعنى واحد ولم يفرق بينهما منهم أبو محمد بن سنان الخفاجي[١].

حيث ذكر في كتابه قول امرئ القيس[٢].

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامها

ورضت فذلت صعبة أي إذلال[٣].

وقال إنه كنى عن المباضعة بأحسن ما يكون من العبارة[٤] وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضعة وهو مثال للتعريض[٥].

---

[١] هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي شاعر وأخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره له ديوان شعر وله سر الفصاحة ولد سنة ٤٢٣هـ وتوفي ٤٦٦هـ.
انظر الأعلام ١٢٢/٤.

[٢] امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي يماني الأصل أشهر شعراء العرب على الإطلاق اشتهر بلقبه واختلف في اسمه فقيل جندح وقيل مليكة وقيل عدي وكان أبوه ملك أسد وغطفان كان يلهو ويشرب الخمر ويعاشر صعاليك العرب فأبعده أبوه ونفاه إلى دمون بحضرموت ولما قتل أبوه أخذ بثأره مات سنة ٥٤٥م انظر الأعلام ١١/٢.

[٣] البيت في سر الفصاحة ١٦٣ ولم أجده في ديوان امرئ القيس.

[٤] انظر سر الفصاحة للإمام عبد الله بن محمد سنان ١٦٣ ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

[٥] انظر المثل السائر ١٨٠/٢ وانظر الفوائد المشوق ١٥١.

ومنهم من جعل التعريض قسماً من الكناية كالإمام السكاكى والطيبى وصاحب جواهر البلاغة وقد سبق ذكر كلامهم. ومنهم من قال بالتغاير بينهما كالإمام الزمخشري[1]، حيث قال في الفرق بين التعريض والكناية

الكناية ذكر الشيء بغير لفظه للموضوع له والتعريض أن يذكر شيئًا يدل على شيء لم يذكره[2].

والإمام الرازي[3] حيث قال والفرق بين الكناية والتعريض أن الكناية أن تذكر الشيء بذكر لوازمه كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والتعريض أن تذكر كلامًا يحتمل مقصودك ويحتمل غير مقصودك.

إلا أن قرائن أحوالك تؤكد حمله على مقصودك[4].

---

(1) هو الإمام محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ولد في رجب سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٣٨هـ وكان إمامًا في التفسير والحديث واللغة والأدب انظر وفيات للأعيان وأنباء أبناء الزمان للإمام أحمد بن أبي بكر بن خلكان ١٩٨/٥ وما بعدها ط دار صادر بيروت تحقيق د/إحسان عباس.

(2) انظر الكشاف للإمام محمود بن عمر الزمخشري ٣١١/١ ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

(3) هو الإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي فخر الدين إمام المتكلمين في زمانه له التفسير الكبير والمحصول في أصول الفقه توفي سنة ٦٠٦هـ انظر طبقات المفسرين للإمام محمد بن أحمد الداودي ٢١٥/٢ – ٢١٦ ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(4) انظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ١١١/٦ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

والإمام ابن الأثير[١] حيث قال في المثل السائر في الفرق بين التعريض والكناية.

حد الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما.

وأما التعريض فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعًا في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازًا وإنما دل عليه من طريق المفهوم بخلاف دلالة اللمس على الجماع وعليه ورد التعريض في خطبة النكاح كقولك للمرأة إنك لخلية وإني لعَزب هذا وأمثاله لا يدل على طلب النكاح لا حقيقة ولا مجازاً.

والتعريض أخفى من الكناية لأن دلالة الكناية لفظية وصفية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا

---

[١] هو الإمام نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو الفتح المعروف بابن الأثير الكاتب وزير من العلماء الكتاب المترسلين اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين ولي الوزارة للملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين في دمشق مصنفاته المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر والوشى المرقوم في حل المنظوم والبرهان في علم البيان ولد سنة ٥٥٨هـ وتوفي سنة ٦٣٧ انظر الأعلام ٣١/٨ وانظر معجم المؤلفين لمحمد رضا كحاله ٩٨/١٣ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

المجازي وإنما سمي التعريض تعريضاً لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أي من جانبه وعرض كل شيء جانبه[1].

ومنهم من قال بينهما عموم وخصوص كيحيى بن حمزة العلوي حيث قال "التفرقة بين التعريض والكناية يظهر ذلك من أوجه ثلاثة **أولها** أن الكناية واقعة في المجاز معدودة منه بخلاف التعريض فلا يعد منه وذلك من أجل كون التعريض مفهومًا من جهة القرينة فلا تعلق له باللفظ لا من جهة حقيقته ولا من جهة مجازة **وثانيها** هو أن الكناية.

كما تكون واقعة في المفرد فقد تكون واقعة في المركب بخلاف التعريض فإنه لا موقع له في باب اللفظ المفرد.

ثالثها:

أن التعريض أخفى من الكناية لأن دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ بطريق المجاز بخلاف التعريض فإنما دلالته من جهة القرينة والإشارة ولاشك أن كل ما كان اللفظ يدل عليه فهو أوضح مما يدل عليه اللفظ ولكن التعريض وإن لم يكن معدودًا في المجاز لكنه أخص من الكناية ولهذا فإن كل تعريض كناية وليس كل كناية تعريضاً فهي أعم منه[2].

---

(1) انظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر للإمام أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي ٢/١٨٢ – ١٨٧ ط المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥م تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

(2) انظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز تأليف يحيى بن حمزة العلوي اليمني ١/٣٩٧ – ٣٩٩ط الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة =

وكذا صاحب التحرير والتنوير حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ البقرة ٢٣٥.

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ الأنفال ٢٢، والتعريض قد يكون كناية وليس من أصنافها فإن بينه وبين الكناية عمومًا وخصوصًا وجهيًا لأن التعريض كلام أريد به لازم مدلوله وأما الكناية فهي لفظ مفرد يراد به لازم معناه إما الحقيقي كقوله تعالى ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الزمر ١٢، وإما المجازي نحو قولهم جبان الكلب إذا لم يكن له كلب فأما التعريض فليس إرادة لازم معنى لفظ منفرد ولا معنى تركيب وإنما هو إرادة لمنطق المتكلم بكلامه قال في الكشاف عند قوله تعالى وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ التعريض أن تذكر شيئًا يدل به على شيء لم تذكره[1] يريد أن تذكر كلامًا دالا كما يقول المحتاج لغيره جئت لأسلم عليك ومن أمثلة التعريض قول القائل وقد سمع رجلاً يسب مسلمًا (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[2] فكذلك قوله تعالى ﴿إن شر

٢٠٠٩م تقديم د/ إبراهيم الخولي.

(١) انظر الكشاف ٣١١/١.

(٢) هذا القول هو نص حديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ذكره بالنص المذكور انظر الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري مع فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١ – ٥٣ ط دار المعرفة بيروت. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل رقم ٣٩ انظر الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج =

الدواب عند الله الصم البكم} لم يرد به لازم معنى ألفاظ ولازم معنى الكلام وإنما أريد به لازم النطق في ذلك المكان بدون مقتضى من حقيقة ولا مجاز ولا تمثيل[1].

ومنهم الدكتور بسيوني فيود حيث قال (يتفق التعريض والكناية في أن كلا منهما معنى يفهم من الكلام لا تدل عليه الألفاظ دلالة حقيقية فقولنا فلان كثير الرماد دل على معنى الكرم بطريق الكناية والتلازم بين معنى الكرم وكثرة الرماد وليست دلالة كثرة الرماد على الكرم دلالة حقيقية وقول المحتاج في خطاب الغني إني لمحتاج وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني دل على الطلب بطريق التعريض.

ويختلف التعريض عن الكناية من جهتين:

الأولى: أن التعريض معنى يفهم من عرض الكلام وسياقاته وقرائن أحواله فالتلازم بين المعنى التعريض والمعنى الحقيقي للألفاظ يرجع إلى المواقف الخاصة التي يقال فيها الكلام أما التلازم بين المعنى المكني عنه والمكنى به فمرجعه إلى العرف والعادات وطبائع الأشياء وخصوصيات الأفعال الثانية أن التعريض لا يمكن أن يدل عليه اللفظ المفرد.

النيسابوري ١ – ٦٥ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

(1) انظر التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور ٥ – ٣٠٥ ط دار سحنون تونس.

ذلك لاحتياجه في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب أما الكناية فتأتي في المفرد نحو مواطن الأسرار وفي المركب نحو المجدبين ثوبيه والكرم بين برديه)[١].

والذي أراه هو ترجيح قول من قال إن بين التعريض والكناية عمومًا وخصوصًا وجهيًا فالكناية أعم من التعريض وهو أخص منها.

---

(١) انظر علم البيان دراسة بلاغية للدكتور بسيوني فيود ٢٦٠ – ٢٦١ ط مؤسسة المختار القاهرة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

المبحث الثاني

أقسام التعريض

أقسام التعريض ينقسم التعريض إلى قسمين

المطلب الاول:

القسم الأول: وهو ما سيق لأجل موصوف غير مذكور ومنه:

أن يخاطب الشخص والمراد به غيره سواء كان الخطاب مع نفسه أو مع غيره[١][٢] ومن أمثلة هذا القسم ما يلي:

---

(١) انظر مفتاح العلوم للسكاكى ١٧٤ وانظر البرهان ٢/٣١٣ – ٣١٤ وانظر الاتقان ٢ / ١٠٤ – ١٠٥.

(٢) ذكر الإمام علي بن عبد الكافي السبكي في كتاب الإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض تقسيم آخر.

للتعريض وهو أن التعريض قسمان قسم يراد به معناه الحقيقي ويشار بـه إلـى المعنى الآخر المقصود وقسم لا يراد به معناه الحقيقي بل يضرب مـثلا للمعنـى الذي هو مقصود التعريض وحينئذ يكون من مجاز التمثيل ولكن هذا التقسيم قال عنه الدكتور محمود توفيق محقق الكتاب إنه هو غير سديد لأن طبيعة التعـريض لا تسمح بتقسيمه إلى حقيقة ومجاز لأن هذا التقسيم إنما هو للعبارة ومـا ينشـأ بها ومنها من المعاني الأول والثواني والتعريض لا يكون بالعبارة ولا منهـا بـل عندها ومعها بمعونة السياق وقرائن الأحوال والملابسات ومثل هذا لا يكون مـن قبيل الدلالة التي هي مناط التقسيم إلى حقيقة ومجاز فالشيخ لم يكن مصيبا فـي هذا التقسيم لأن التعريض لا يوصف بالحقيقة أو المجاز إذ هو من قبيل مستتبعات التراكيب أي المعاني التي تكون عند العبارة ومعها لا بها ولا منها التي تسـمى =

المثال الأول

قوله تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣] قال صاحب البحر المحيط لما ذكر الله اصطفاء طالوت على بني إسرائيل وتفضيل داود عليهم بإتيانه الملك والحكمة وتعليمه ثم خاطب نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بأنه من المرسلين وكان ظاهر اللفظ يقتضي التسوية بين المرسلين بين بأن المرسلين متفاضلون أيضًا كما كان التفاضل بين غير المرسلين كطالوت وبني إسرائيل ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قضى الله في تفضيل بعض الأنبياء على بعض دون تعيين مفضول.

{منهم من كلم الله} تضافرت نصوص المفسرين على أن المراد بالمكلم هنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

خصوصيات التراكيب إن فرقاً لا يخفى بين خصوصيات التراكيب وبين مستتبعات التراكيب الخصوصيات تكون من العبارة وبها والمستتبعات تكون معها وعندها وتسميتها مستتبعات كاشفة عن معرفة المسمى وجوهره، انظر الإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ص ٢٨ – ١٠٤ – ١٠٧ تحقيق د/ محمود توفيق سعد طه مطبعة الأمانة مصر الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

وبناءً على هذا الكلام يتضح أن تقسيم الإمام السبكي غير سديد ولذا أثرت التقسيم الموجود بالصلب.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم أو إبراهيم أو إدريس ثلاثة أقوال قالوا والأول أظهر وقال الزمخشري ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ أي ومنهم من رفعه الله على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمد صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتى ما لم يؤت أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية وأكثر ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلاً منيفًا على سائر ما أوتي الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم يريد الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح به وأنوه بصاحبه[1] انتهى كلام الزمشخري وهو حسن}[2].[3].

ويقول صاحب روح المعاني {ورفع بعضهم درجات} أي ومنهم من رفعه الله تعالى على غيره من المرسلين بمراتب متباعدة ومن وجوه

---

(١) انظر الكشاف ١/٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) انظر البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف المعروف بأبى حيان ٢/٢٨٢ - ٢٨٣ ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود وآخرون.

(٣) ذهب إلى مثل قول الإمام الزمخشري الإمام محمد بن محمد العمادي المعروف بأبي السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١- ٢٤٦ ط دار إحياء التراث العربي بيروت الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

متعددة وتغيير الأسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والمراد ببعضهم هنا النبي صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الأخبار بكونه صلى الله عليه وسلم منهم فإنه قد خص بمزايا تقف دونها الأماني حسرى وامتاز بخواص علمية وعملية لا يستطيع لسان الدهر لها حصرًا ورقى أعلام فضل رفعت له على كواهله الأعلام وطأطأت له رؤوس شرفات الشرف فقبلت منه الإقدام فهو المبعوث رحمة للعالمين والمبعوث بالخلق العظيم بين المرسلين والمنزل عليه قرآن مجيد ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ والمؤيد دينه المؤبد بالمعجزات المستمرة الباهرة والفائز بالمقام المحمود والشفاعة العظمى في الآخرة وبالأيام لتفخيم شأنه وللإشعار بأنه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل المراد به إبراهيم حيث خصه الله تعالى بمقام الخلة التي هي أعلى المراتب ولا يخفى ما فيه وقيل إدريس لقوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ [مريم: ٥٧].

وقيل أولو العزم وفيه أنه لا يلائم ذوق المقام الذي فيه الكلام البتة وكذا الكلام في سابقة إذا الرفعة عليه حقيقية والمقام يقتضي المجاز ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ أي الآيات الباهرات والمعجزات الواضحات كإبراء الأبرص وإحياء الموتى وإنبائه بما يكون وما يدخرون في بيوتهم، أو الإنجيل أو كل ما يدل على نبوته.

﴿وأيدناه بروح القدس﴾ قويناه بجبريل عليه السلام وإفراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين أهل الكتاب في شأنه من التفريط والإفراط ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم﴾ أي لو شاء الله عدم اقتتال الذين

جاءوا من بعد كل رسول ما اقتتلوا بأن جعلهم مجتمعين على الحق واتباع ما جاء به الرسل.

من بعد ما جاءتهم من جهة أولئك الرسل {البينات} المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة للاتباع الزاجرة عن الإعراض المؤدي إلى الاقتتال.

﴿ولكن اختلفوا﴾ استدراك للإيذان بأن اقتتالهم ناشئ من قبلهم وسوء اختيارهم لا من جهته تعالى ابتداءً كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لأنهم اختلفوا اختلافًا فاحشًا، فمنهم من آمن بما جاءت به الرسل وثبت على إيمانه وعمل بموجبه ومنهم من كفر بذلك ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة من الاختلاف المستتبع للقتال عادة ما اقتتلوا وما رفعوا رأس التطاول والتعادي لما أن الكل بيد قهره فالتكرير ليس للتأكيد بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس كموجب لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار حتى ذلك في لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ حسبما يريد من غير أن يوجبه عليه موجب أو يمنعه عنه مانع[1].

ويقول صاحب التحرير والتنوير (ورفع بعضهم درجات يتعين أن يكون المراد من البعض هنا واحداً من الرسل وتكون الدرجات مراتب من الفضيلة ثابتة لذلك وبعد لأنه لو كان المراد من البعض جماعة الرسل

---

(١) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام محمود شكري الألوسي البغدادي ٣ – ٢ – ٣ ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

مجملاً وكان المراد بالدرجات درجات بينهم لصار الكلام تكرار مع قوله ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ ولأنه لو أريد بعض فضل على بعض لقال ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام ١٦٥] وعليه فالعدل من التصريح بالاسم أو بالوصف المشهور به يقصد دفع الاحتشام عن المبلغ الذي هو المقصود من هذا الوصف هو محمد صلى الله عليه وسلم والعرب تعبر بالبعض عن النفس والدرجات التي فضل بها صلى الله عليه وسلم كثيرة عرفنا منها عموم الرسالة لكافة الناس ودوامها طول الدهر وختمها الرسالات والتأييد بالمعجزة العظيمة القرآن الكريم ودوام تلك المعجزة وإمكان أن يشاهدها كل من يؤهل نفسه لإدراك الإعجاز وبابتناء شريعته على رعى المصالح ودرأ المفاسد والبلوغ بالنفوس إلى أوج الكمال وبتسيير إدانة معانديه له وتملك أرضهم وديارهم وأموالهم في زمن قصير بجعل نقل معجزته متواترًا لا يجهلها إلا مكابرا[1].

فيلاحظ أن هؤلاء المفسرين السابقين صرحوا بأن المراد من البعض في قوله ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم دون التصريح بالتعريض.

وقد صرح بالتعريض في هذا الجزء من الآية والغرض منه صاحب الإتقان حيث قال، قال السكاكى (التعريض ما سيق لأجل موصوف غير مذكور ومنه أن يخاطب واحد ويراد غيره)[2] قال الطيبى ذلك يفعل إما لتنويه جانب الموصوف ومنه (ورفع بعضهم درجات أي محمدًا صلى

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٣ – ٦ – ٨.

(٢) انظر مفتاح العلوم ١٧٤.

الله عليه وسلم إعلاءً لقدره أي أنه العلم الذي لا يشتبه)[١][٢] وصرح بالتعريض في الآية صاحب البلاغة العربية حيث قال (ففي عبارة ورفع بعضهم درجات) تعريض بارتفاع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل درجات على سائر الرسل ولم يأت هذا البيان بعبارة صريحة فيها نص على ارتفاع منزلته فوق سائر الأنبياء والمرسلين تعليمًا للمسلمين أن يتأدبوا مع جميع الرسل ولا يتخذوا من أفضلية محمد صلى الله عليه وسلم ذريعة للتنافس والتفاخر على سائر الأمم فمثل هذا قد يولد شقاقًا ونزاعًا وبعدًا بين أتباع الرسل السابقين وبين أتباع محمد صلى الله عليه وسلم)[٣].

من خلال ما سبق يتضح أن في قوله ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ تعريضًا للتنويه بشأن الموصوف وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي عدم التصريح بذلك تفخيم لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعليم لأمته أن يتأدبوا مع اتباع الرسل السابقين.

المثال الثاني

قوله تعالى ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ الرعد (١٩)، لما ذكر تعالى مثل المؤمن

---

(١) انظر التبيان للإمام الطيبي ٤١٥ – ٤١٦.

(٢) انظر الاتقان ٢/ ١٠٥. وهذا المثال وإن لم يكن جانب الخطاب فيه مذكوراً صراحة إلا أنه من قبيل التنويه بالموصوف. وقد عد ذلك الإمام السيوطي من قبيل القسم الأول.

(٣) انظر البلاغة العربية ١٥٧/٢.

والكافر وما للمؤمن من الثواب وما للكافر من العقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سواء وأنكر ذلك فقال.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾ من القرآن الذي مثل بالماء المنزل من السماء والإبريز الخالص في المنفعة والجدوى (هو الحق) الذي لا حق وراءه أو الحق الذي أشير إليه بالأمثال المضروبة فيستجيب له كمن هو أعمى، وعمى القلب لا يدركه ولا يقدر قدره وهو هو فيبقى خائرًا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال ولا يتذكر ما ضرب من الأمثال والمراد كمن لا يعلم ذلك إلا أنه أريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالأعمى والهمزة للاستفهام المراد به إنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب المثل في أن حال من علم إنما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد[1] والماء والخبث والإبريز {ثم ذكر أنه لا يتذكر بالموعظة إلا أصحاب العقول}[2].

وفي قوله تعالى ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ تعريض واضح ذكره الإمام الزركشي فقال وقوله ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ القصد التعريض وإنهم لغلبه هو اهم في حكم من ليس له عقل[3][4].

---

(1) الزبد زبد الماء طفاوته وقذاه. انظر لسان العرب ١٩٢/٣ – ١٩٣ ط دار صادر بيروت.

(2) انظر البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان ٣٠٥/٥ ط دار الكتب العلمية بيروت وانظر روح المعاني ١٣٩/١٣.

(3) انظر البرهان: ٣١٤/٢ – وقد ذكره ضمن قسم أن يخاطب الشخص ويراد به غيره.

(4) وهذه الآية كما هو واضح تشتمل على خطاب موجه لرسول الله (ﷺ) وهى مذيلة بجملة التعريض المبنى على هذا الخطاب.

وذكره صاحب الإتقان في قسم أن يخاطب الشخص والمراد به غيره مبيناً الغرض منه فقال (وإما للذم (يعني التعريض) نحو ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ فإنه تعريض لذم الكفار وإنهم في حكم البهائم الذين لا يتذكرون)[١].

وذكره صاحب التحرير والتنوير (والقصر بإنما إضافي[٢] أي لا غير أولي الألباب فهو تعريض بالمشركين أنهم لا عقول لهم إذ انتفت عنهم فائدة عقولهم)(٣).

المثال الثالث

قوله تعالى ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

يقول الإمام الزركشي (ومنه أي من التعريض الذي هو أن يخاطب الشخص والمراد به غيره {وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين} حيث ردد الضلال بينه وبينهم والمراد إنا على هدى وأنتم في

---

(١) انظر الاتقان للإمام السيوطي ١٠٥/٢.

(٢) القصر الإضافي ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر معين بالنسبة إلى جميع ما عداه نحو ما على الإشجاع يعني أنه مقصور على صفة الشجاعة لا يتجاوزها إلى الجبن ولا إلى التهور. انظر البلاغة الواضحة للأستاذين علي الجارم ومصطفى أمين ٢١٩ ط دار المعارف لبنان.

(٣) انظر التحرير والتنوير ١٢٣/٧.

ضلال وهذا يسمى الخطاب المنصف أي لأنه يوجب أن ينصف المخاطب إذا رجع إلى نفسه استدراجًا استدرجه الخصم إلى الإذعان والتسليم)[1].

ويقول صاحب روح المعاني ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله﴾ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك تبكيتًا للمشركين يحملهم على الإقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وأن الرزاق هو الله عز وجل فإنهم لا ينكرونه وحيث كانوا يتلعثمون أحيانًا في الجواب مخافة الإلزام قيل له عليه السلام قل الله إذ لا جواب سواه عندهم أيضًا.

﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ أي وإن أحد الفريقين منا معشر الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية العابدية وحده عز وجل ومنكم فرقة المشركين به العاجزين في أنفسهم عن دفع أدنى ضر وجلب أحقر نفع وفيهم النازل إلى أسفل المراتب الإمكانية المتصفون بأحد الأمرين من الاستقرار على الهدى والانغماس في الضلال وهذا الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجة بعد تقدمه ما قدم من التقرير البليغ دلالة ظاهرة على من هو من الفريقين على هدى ومن هو في ضلال ولكن التعريض أبلغ من التصريح وأوصل بالمجادل إلى الغرض وأحجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وقلة شوكته ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله تعالى الصادق مني ومنك وإن أحدنا لكاذب[2].

---

(1) انظر البرهان ٢/٣١٤.

(2) انظر تفسير الألوسي ٢٢/١٤٠.

وقال صاحب التحرير والتنوير عن هذا الجزء من الآية ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ هذا من التعريض وهو أوقع من التصريح لاسيما في استنزال طائر الخصم[١].

مما سبق يتضح أن في قوله ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ تعريضاً بالمشركين وأنهم على ضلال وهذا التعريض أبلغ من التصريح لما فيه من استدراج الخصم وحمله على الإذعان والتسليم.

المثال الرابع

وقوله تعالى ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ سبأ (٢٥).

قال الإمام الزركشي قيل ومنه هذه الآية حيث حصل المقصود في قالب التلطف وكان حق الحال من حيث الظاهر لولاه أن يقال لا تسئلون عما عملناه ولا نسأل عما تجرمون[٢].

ويقول صاحب روح المعاني عن هذه الآية وهذا أبلغ في الإنصاف حيث عبر عن الهفوات التي لا يخلو عنها مؤمن بما يعبر به عن العظائم وأسند إلى النفس وعن العظائم من الكفر ونحوه بما يعبر به عن الهفوات وأسند إلى المخاطبين وزيادة على ذلك أنه ذكر الإجرام المنسوب إلى النفس بصيغة الماضي الدالة على التحقق وعن العمل

---

(١) انظر التحرير والتنوير ١٩٢/١١.

(٢) انظر البرهان ٣١٣/٢.

المنسوب إلى الخصم بصيغة المضارع التي لا تدل على ذلك وذكر أن في الآية تعريضًا وأنه لا يضر بما ذكر[1].

ويقول صاحب التحرير والتنوير، وصيغ ما يعمل المشركون في صيغة المضارع لأنهم ينتظرون منهم محلاً تعريضًا بأنهم يأتون عملاً غير ما عملوه أي يؤمنون بالله بعد كفرهم[2].

يتضح مما سبق أن في الآية الكريمة تعريضاً لطيفاً حيث أضاف الإجرام إلى نفسه والعمل إليهم تلطفًا بالمخاطبين واستدراجًا لهم.

المثال الخامس

قوله تعالى ﴿وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢] (هذه الاية من موعظة الرجل المؤمن من أهل القرية التي جاءها المرسلون يأمرونهم بعبادة الله وحده وينهونهم عن الشرك والمعاصي بين البون الشديد بين المعاندين من أهل القرية (التي لم يعينها الله تعالى لعدم الفائدة من تعيينها) وبين إيمان هذا الرجل الذي وعظهم موعظة بليغة كان منها هذه الآية التي معناها ما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة لأنه هو الذي بيده الخلق والرزق وإليه مآل العباد ومرجعهم فيجازيهم على أعمالهم فهو المستحق للعبادة دون غيره وفي قوله ﴿وإليه ترجعون﴾ إشارة إلى الخوف والرجاء لأن من يكون إليه المرجع يخاف منه ويرجى)[3]. وهذه الآية فيها تعريض أشار إليه

---

(١) انظر روح المعاني ١٤١/٢٢.

(٢) انظر التحرير والتنوير ١٩٤/١١.

(٣) انظر تفسير الرازي ٥٠/٢٦. وتفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير =

صاحب الكشاف بقوله (ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ولقد وضع قوله ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ مكان قوله (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) ألا ترى إلى قوله ﴿وإليه ترجعون﴾ ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه أرجع)[1].

وذكره الإمام الزركشي صراحة حيث قال (ومن أقسام التعريض أن يخاطب الشخص والمراد غيره سواء كان الخطاب مع نفسه أو مع غيره ومنه (أي الذي الخطاب مع نفسه وأراد غيره).

ومنه قوله ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾

المراد ما لكم لا تعبدون بدليل قوله ﴿وإليه ترجعون﴾ ولولا التعريض لكان المناسب وإليه أرجع[2].

وصرح به صاحب التحرير والتنوير ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ هذا الخير مستعمل في التعريض لهم كأنه يقول ومالي لا أعبد ومالكم لا تعبدون الذي فطركم بقرينة قوله ﴿وإليه ترجعون﴾ إذ جعل الإسناد إلى ضميرهم تقويه لمعنى التعريض وإنما ابتدأه بإسناد الخبر إلى نفسه لإبرازه في معرض المناصحة لنفسه وهو مريد مناصحتهم ليتلطف

كلام المنان تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٦٠٣ – ٦٠٤ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(١) انظر الكشاف ١٣/٤.

(٢) انظر البرهان ٣١١/٢ – ٣١٣.

بهم ويدارئهم فيسمعهم الحق على وجه لا يثير غضبهم ويكون أعون على قبولهم إياه حين يرون أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه[1].

يتضح مما سبق أن الآية الكريمة فيها تعريض في قوله ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ فهو تعريض من الرجل المؤمن بالمخاطبين حيث أبرز نصحه لهم في معرض النصح لنفسه حتى لا يثير غضبهم ويحملهم على قبول النصح: وهو أبلغ من التصريح.

المثال السادس

ومن هذا القسم أيضًا قوله تعالى ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣] وهذه الآية في قصة مؤمن أصحاب القرية. ومعناها: (قال ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ ليتم له التوحيد فإن التوحيد بين التعطيل والإشراك فقال ومالي لا أعبد إشارة إلى وجود الإله وقال ﴿مِن دُونِهِ﴾ إشارة إلى نفي غيره فيتحقق معنى لا إله إلا الله)[2].

وفي الآية إنكار ونفي لاتخاذ جنس الآلهة وفيه من تحميق من يعبد الأصنام ما فيه وقوله ﴿إن يردن الرحمن بضر﴾.

وفي الآية إنكار ونفي لاتخاذ جنس الآلهة وفيه من تحميق من يعبد الأصنام ما فيه وقوله ﴿إن يردن الرحمن بضر﴾ استئناف سيق لتعليل النفي المذكور ﴿لا تغني عني شفاعتهم شيئًا﴾ من النفع أي لا

---

(1) انظر: التحرير والتنوير ٣٦٨/١١.

(2) انظر تفسير الرازي ٥٠/٢٦.

شفاعة لهم أصلا حتى تنفع) أو لو وقعت فلا تنفع ﴿ولا هم ينقذون﴾ أي يخلصون[١].

وفي الآية تعريض صرح به الإمام الزركشي في البرهان حيث قال (وكذا أي ومن هذا القسم من أقسام التعريض أن يخاطب الشخص ويريد به غيره.

﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾ ولذلك قال ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥] دون ربي وأتبعه فاسمعون[٢].

وقد فصل صاحب التحرير والتنوير التعريض في الآية بقوله (رجع إلى طريقه التعريض بقوله ﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾ وهي جملة مستأنفة استئنافًا بيانيًا لاستشعار سؤال عن وقوع الانتفاع بشفاعة تلك الآلهة عند الذي فطره والاستفهام إنكاري أي أنكر على نفسي أن أتخذ من دونه آلهة أي لا أتخذ آلهة والاتخاذ افتعال من الأخذ وهو التناول والتناول يشعر بتحصيل ما لم يمكن حاصلاً قبل فالاتخاذ مشعر بأنه صُنع وذلك من تمام التعريض بالمخاطبين حيث إنهم جعلوا الأوثان آلهة وليست بآلهة لأن الإله الحق لا يجعل جعلاً ولكنه مستحق للآلهية بالذات ووصف المزعومة المفروضة الاتخاذ بجملة الشرط بقوله ﴿إن يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون﴾ والمقصود التعريض بالمخاطبين في اتخاذهم تلك الآلهة بعلة أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه زلفى وقد علم من انتفاء دفعهم الضر أنهم عاجزون عن

---

(١) انظر تفسير الألوسي ٢٢/٢٢٧.

(٢) انظر: البرهان ٢/٣١٣.

جلب نفع لأن دواعي دفع الضر عن المولى أقوى وأهم ولحاق العار بالولي في عجزه عنه أشد[1].

والغرض من التعريض في هذه الآية والتي قبلها مباشرة هو التلطف بالمخاطب والاحتراز عن المخاشنة في الخطاب معه.

ووجه حسن التعريض في الآيتين يقول عنه الإمام الزركشي (ووجه حسنه ظاهر لأنه يتضمن إعلام السامع على صورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر كأنك لم تعنه وهو أعلى في محاسن الأخلاق وأقرب للقبول وأدعى للتواضع والكلام ممن هو رب العالمين نزله بلغتهم وتعليمًا للذين يعقلون)[2].

وجاء في الاتقان (ووجه حسنه إسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرح بنسبته للباطل والإعانة على قبوله إذ لم يرد له إلا ما أراد لنفسه)[3].

فواضح مما سبق أن في هذه الآية تعريضاً في قوله {أأتخذ من دونه آلهة}.

وهو أبلغ من التصريح والغرض منه التلطف بالسامع والبعد عن المخاشنة في الخطاب ليكون أدعى لقبوله الحق ومثل هذا يقال في الآية السابقة ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾.

---

(1) انظر التحرير والتنوير ٣٦٨/١١ - ٣٦٩.

(2) انظر: البرهان ٣١٣/٢.

(3) انظر الاتقان ١٠٥/٢.

المثال السابع

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]

قال الإمام الزركشي:

هذه الآية تعريض بأن قوم النبي صلى الله عليه وسلم قد أشركوا وفي الآية ثلاثة أمور مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وإخراج المحال عليه في صورة المشكوك والمراد غيره واستعمال المستقبل بصيغة الماضي وأمر رابع وهو أن الشرطية قد لا يراد بها إلا مجرد الملازمة التي هي لازمة الشرط والجزاء مع العلم باستحالة الشرط أو وجوبه أو وقوعه وعلى هذا يحمل قول من لم ير من المفسرين حمل الخطاب على غيره إذ لا يلزم من فرض أمر لابد منه صحة وقوعه بل يكون في الممكن والواجب والمحال[١].

وجاء في الإتقان بيان الغرض من هذا التعريض فقال (وإما أن يكون التعريض لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ومنه ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعًا)[٢].

---

(١) انظر البرهان ٣١٢/٢.

(٢) انظر الإتقان للإمام السيوطي ١٠٥/٢.

وقال صاحب التحرير والتنوير

﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ تأييد لأمره بأن يقول للمشركين تلك المقالة مقالة إنكار أن يطمعوا منه في عبادة غير الله بأنه قول استحقوا أن يرموا بغلظة لأنهم جاهلون بالأدلة وجاهلون بنفس الرسول وزكائها وأعقب بأنهم جاهلون بأن التوحيد هو سنه الأنبياء وأنهم لا يتطرق الإشراك حوالي قلوبهم فالمقصود الأهم من هذا الخبر التعريض بالمشركين إذ حاولوا النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتراف[1] بإلهية أصنامهم والوحي الإعلام من الله بواسطة الملك والذين من قبله هم الأنبياء والمرسلون والواو في ﴿ولقد أوحي﴾ عاطفة على قل وتأكيد الخبر باللام وقد تأكيد لما فيه من التعريض للمشركين والتاء في {أشركت} خطاب لكل من أوحى إليه بمضمون هذه الجملة من الأنبياء فتكون الجملة بيانًا لما أوحي إليه وإلى الذين من قبله ويجوز أن يكون الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم فتكون جملة بيان بجملة ﴿أوحي إليك﴾ ويكون ﴿وإلى الذين من قبلك﴾ اعتراضًا لأن البيان تابع للمبين عمومه ونحوه وأيا ما كان فالمقصود تعريض بقوم الذي أوحي إليه لأن فرض اشراك النبي صلى الله عليه وسلم غير متوقع[2].

جاء في البلاغة العربية ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ هو خطاب صريح العبارة للرسول صلى الله عليه وسلم وهو تعريض لكل من آمن

---

(1) الآية التى تضمنت ذلك هى قوله تعالى: ﴿قل أغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون﴾ (الزمر ٦٤).

(2) انظر التحرير والتنوير ٥٨/١١.

به واتبعه ان يحذروا من الشرك لئلا تحبط أعمالهم ويكونوا من الخاسرين.

وهذا التعريض أبلغ من مواجهة غير الرسول بصريح الخطاب وذلك لأن الرسول إذا كان يملك لنفسه عند ربه الحماية من أن يحبط عمله ويكون من الخاسرين إذا أشرك وهو ذو المكانة العالية عند ربه والمحظوظ بالاصطفاء فكيف يكون سائر الناس وليس لهم عند ربهم نفس المكانة[١].

وقوله ﴿ليحبطن عملك﴾ الحبط البطلان حبط عمله ذهب باطلاً وعملك مفرد مضاف بعم كل عمل ففي نبوة جميع الأنبياء أن الشرك محبط لجميع الأعمال.

ولتكونن من الخاسرين أي للدين والدنيا وفي تقدير فرض وقوع الإشراك من الرسول والذين من قبله مع تحقق عصمتهم التنبيه على عظم أمر التوحيد وخطر الإشراك ليعلم الناس أن أعلى الدرجات في الفضل لو فرض أن يأتي عليها الإشراك لما أبقى منها أثرًا ولدحضها دحضًا[٢].

مما سبق يتضح أن فى قوله لئن أشركت تعريضاً خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿لئن أشركت﴾ وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعًا والهدف من التعريض استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم.

---

(١) انظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ١٥٥/٢.

(٢) انظر تفسير السعدي ٧٢٩، والتحرير والتنوير ٥٩/١١.

المثال الثامن

قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً﴾ [الجن: ٢٠]

تعريض بالمشركين كيفما قدر بل السورة الكريمة من مفتتحها مسوقة للتعريض بحال مشركي مكة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه صلى الله عليه وسلم وتعيير لهم بقصور نظرهم عن الجن مع ادعائهم للفطانة[1].

ففي قوله تعالى ﴿ولا أشرك به﴾ تعريض بالمشركين حيث أن الخطاب في الآية الكريمة للنبي صلى الله عليه وسلم وأريد به التعريض بالمشركين.

المثال التاسع

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ – ٩]

الوأد دفن الطفلة وهي حية وقيل إنه مقلوب أداه إذا أثقله لأنه إثقال الدفينة بالتراب والوأد أفظع أعمال أهل الشرك وكان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية يقول لأمها طيبها وزينها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرًا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انطوى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالأرض.

---

[1] انظر تفسير الألوسي ٢٩/٩٥.

وكانوا يفعلون ذلك خشية من إغارة العدو عليهم فيسبي نسائهم وخشية الإملاق في سني الجدب لأن الذكر يحتال للكسب بالغارة وغيرها والأنثى عالة على أهلها[١].

قال صاحب الكشاف فإن قلت فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني إلى قوله ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦] [٢].

(وجاء في الاتقان من أقسام التعريض أن يخاطب الشخص ويراد به غيره وقد يكون هذا للإهانة والتوبيخ نحو قوله تعالى ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ فإن سؤالها لإهانة قاتلها وتوبيخه[٣].

ويقول صاحب روح المعاني وتوجيه السؤال إلى الموءودة في قوله تعالى ﴿سئلت بأي ذنب قتلت﴾ دون الوائد مع أن الذنب له دونها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته فإن المجني عليه إذا سئل بمحضر الجاني ونسبت إليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعثًا للجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجني عليه فيرى براءة ساحته وأنه هو المستحق

---

(١) انظر الكشاف للإمام محمود بن عمر الزمخشري ٧٠٨/٤. وانظر التحرير والتنوير ١٥ – ١٤٤ – ١٤٥.

(٢) انظر الكشاف: ٧٠٨/٤ – ٧٠٣.

(٣) انظر الاتقان ١٠٥/٢.

للعقاب والعتاب وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض كما في قوله ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ﴾ المائدة ١١٦[1].

وقال صاحب التحرير والتنوير (وفي توجيه السؤال إلى الموءودة بأي ذنب قتلت) وفى ذلك الحشر ادخال الروع على من وأدها وجعل سؤالها عن تعيين ذنب أوجب قتلها للتعريض بالتوبيخ والتخطئة للذي قتلها وليكون جوابها شهادة على من وأدها فيكون استحقاقه العقاب أشد وأظهر)[2].

بناء على ما سبق يتضح أن في الآية تعريضاً حيث خوطبت الموءودة وأريد وائدها والغرض التوبيخ للوائد والإهانة له والتبكيت.

---

(١) انظر روح المعاني للإمام الألوسي ٣٠/٥٣.

(٢) انظر التحرير والتنوير ١٥ -١٤٦.

المطلب الثاني

القسم الثاني

هو خلاف القسم الأول حيث لا يقصد به خطاب الشخص وإرادة غيره بل المقصود منه التعريض بذوات الأشخاص أو بأفعالهم أو بصفاتهم.

وقد ورد هذا القسم في القرآن كثيرًا وهاك نماذج لما وقع منه في القرآن.

المثال الأول

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]

هذه الآية بيان لأوصاف المتقين فهم يؤمنون بما أنزل إلى الرسول من الكتاب والسنة دون تفرقة بين بعضه والبعض الآخر ويؤمنون بما أنزل من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يتضمن الإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب دون تفرقة ويؤمنون بالآخرة وهي اسم لما يكون بعد الموت وخص الإيمان بالآخرة بالذكر لأنه أحد أركان الإيمان ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل والإيقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة في قوله {وبالآخرة هم يوقنون} تعريض بأهل الكتاب في عدم إيقانهم باليوم الآخر[1].

---

[1] انظر الكشاف ٨٣/١، وانظر تفسير، أبي السعود ٣٣/١.

ففي الآية الكريمة كما هو واضح تعريض في قوله ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾.

حيث إن وصف المتقين بالإيمان باليوم الآخر إيمانًا لا يخالطه أدنى شك تعريض بأهل الكتاب الذين لا يوقنون باليوم الآخر.

المثال الثاني

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢].

﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ الخطاب لليهود.

بالبينات الدلائل الدالة على الوحدانية والدلائل الدالة على صدقه عليه السلام في دعوته والمعجزات المؤيدة لنبوته كالعصا واليد وانفلاق البحر ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ الذي صنعه لكم السامري ﴿من بعده﴾ من بعد مجيء موسى عليه السلام بها وأنتم ظالمون أي واضعون الشيء في غير محله اللائق به أو مخلون بآيات الله تعالى والجملة حال مؤكدة للتوبيخ والتهديد وهي جارية مجرى القرينة على إرادة العبادة من الاتخاذ وفيها تعريض بأنهم حرفوا العبادة عن موضعها الأصلي إلى غير موضعها وإيهام المبالغة من حيث إن إطلاق الظلم يشعر بأن عبادة العجل كل الظلم وأن من ارتكبها لم يترك شيئًا من الظلم)[1].

---

[1] انظر: تفسير الألوسي ١/٣٢٥، وتفسير السعدي ٥٩.

فيتضح من الكلام السابق أن في قوله ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ تعريض بهم حيث حرفوا العبادة عن موضعها الأصلي إلى غير موضعها}.

المثال الثالث

قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]

(في هذه الآية دعا اليهود والنصارى المسلمين إلى الدخول في دينهم زاعمين أنهم المهتدون وغيرهم ضال ﴿قل بل ملة إبراهيم﴾ قل لهم جوابًا شافيا بل ﴿اتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ مقبلاً على الله معرضًا عما سواه قائمًا بالتوحيد تاركًا للشرك فهذا الذي في اتباعه الهداية وفي الإعراض عنه الكفر والغواية[1].

وقوله ﴿وما كان من المشركين﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم يدعى اتباع إبراهيم وهو على الشرك)[2].

فالتعريض في هذا الجزء الأخير من الآية واضح وهو تعريض بأهل الكتاب وغيرهم من المشركين.

---

(١) انظر تفسير السعدي ص ٦٧.

(٢) انظر الكشاف ٢٢١/١ وانظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد النسفي ٧٢/١ ط دار القلم دمشق الأولى ١٤١٥هـ وتفسير أبي السعود ١٦٦/١.

المثال الرابع

قوله تعالى ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠]

هذه الآية تبين دعوى ادعاها أهل الكتاب محاجة في رسل الله زعموا أنهم أولى بهؤلاء الرسل المذكورين من المسلمين فرد الله عليهم بقوله أأنتم أعلم أم الله فالله يقول ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧] وهم يقولون بل كان يهوديًا أو نصرانيًا فإما أن يكونوا هم الصادقون العالمون بذلك أو الله تعالى هو الصادق العالم بذلك فأحد الأمرين متعين والجواب مبهم ولكنه في غاية الوضوح في أنه من وضوحه لم يحتج أن يقول بل الله أعلم وهو أصدق لانجلائه لكل أحد كما يقال الليل أنور أم النهار وهم جمعوا بين نوعين من الظلم أحدهما كتمان شهادة الحق حيث إنهم يعرفون أن إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا لإنزال التوراة والإنجيل من بعده الثاني إظهار الباطل والدعوة إليه وسيعاقبهم الله على ذلك ولذا ختمت الآية بقوله ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ ولا يخفى أن في الآية تعريضًا بغاية أظلمية أهل الكتاب على نحو ما أشير إليه[1].

---

[1] انظر تفسير الألوسي ١/٤٠٠.

وفي إطلاق الشهادة مع أن المراد ما تقدم من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل[١].

ففي الآية الكريمة تعريضان أحدهما تعريض بتناهي أهل الكتاب في الظلم ثانيهما أن في إطلاق الشهادة رغم أن المراد بها الشهادة المعينة وهي أن سيدنا إبراهيم وما بعده من الأنبياء ليسوا يهودًا ولا نصارى تعريض بكتمانهم شهادة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة في التوراة والإنجيل.

المثال الخامس

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

أخبر الله عز وجل أن في هذه المخلوقات العظيمة آيات أي أدلة على وحدانية الباري وإلهيته وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته ففي ﴿خلق السماوات﴾ في ارتفاعها واتساعها وإحكامها واتقانها وما جعل الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وتنظيمها لمصالح العباد وفي خلق {الأرض} مهادًا للخلق يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها والاعتبار

---

(١) انظر الكشاف ٢٢١/١ – ٢٢٣ وانظر تفسير النسفي ٧٤/١ وتفسير الألوسي ٤٠٠/١.

ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها وحكمته التي بها أتقنها وأحسنها وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع من منافع الخلق ومصالحهم وضروراتهم وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله سبحانه واستحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير والقيام بشئون عباده.

واختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما على الدوام وفي اختلافهما في الحر والبرد والتوسط وفي الطول والقصر وما ينشأ من ذلك من الفصول التي بها النظام مصالح بني آدم وحيواناتهم وجميع ما على وجه الأرض من أشجار ونوابت كل ذلك بانتظام وتدبير وتسخير تنبهر له العقول وتعجز عن إدراكه الرجال الفحول مما يدل على قدره مصرفها وعظمة ملكه وسلطانه ﴿والفلك التي تجري في البحر﴾ وهي السفن والمراكب ونحوها مما ألهم عباده صنعتها وسخر لهم البحر العظيم والرياح التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال والبضائع التي هي منافع للناس وبها تقوم مصالحهم وتنتظم معايشهم ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ المطر النازل من السماء ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ يعني أخرج به من صنوف الأقوات وأنواع النبات ما هو من ضرورات الخلائق لا يعيشون بدونها.

﴿وبث فيها﴾ أي نشر في الأرض من صنوف الدواب المتنوعة منها، يأكلون لحمه ويشربون من دره ومنها ما يركبون ومنها ما هو ساع في مصالحهم وحراستهم وهو متكفل برزقها جميعًا ﴿وتصريف الرياح﴾ حاره وباردة شمالاً وجنوبًا شرقًا ودبورًا تارة تكون رحمة وتارة ترسل بالعذاب ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ على خفته

ولطافته يحمل الماء الكثير فيصرفه الله حيث يشاء فيحمي به البلاد والعباد ويسقي السهول والوهاد.

﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يتفكرون فالعقل مجاز عن التفكير وفيها تعريض يجعل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية لصدقه وتسجيل عليهم بسخافة العقول وإلا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها مشتملا على وجوه كثيرة من الدلالة على وجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى عن سائرها[١].

ففي الآية الكريمة تعريض في قوله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ والمعرض بهم هم المشركون في سخافة عقولهم وخفتها[٢].

المثال السادس

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]

المن ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها وقيل التحدث بما أعطى حتى يبلغ المعطي فيؤذيه والأذى هو السب والتشكي أعم من المن وقد عبر الله عن عدم القبول بالإبطال قال جمهور العلماء الصدقة

---

(١) انظر تفسير السعدي ٧٨ – ٧٩.

(٢) انظر تفسير أبي السعود ١٨٥/١ وتفسير الألوسي ٣٣/٢.

التي علم الله أن صاحبها بمن بها أو يؤذي فإنها لا تقبل وقيل جعل الله للملك علامة فلا يكتبها وهذا حسن ﴿كالذي﴾ في محل نصب نعت لمصدر محذوف أي إبطال كالذي ويجوز أن تكون في موضع الحال أي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق أي الذي يبطل إنفاقه بالرياء والمراد بالموصول ما يعم المؤمن والكافر وغالب المفسرين على أنه المنافق لقوله {ولا يؤمن بالله واليوم الآخر} أي لا يرجو ثوابًا ولا يخاف عقابًا ﴿فمثله﴾ ﴿كمثل صفوان﴾[1] أي مثل المرائي كحجر كبير أملس ﴿عليه تراب﴾ شيء يسير {فأصابه وابل}[2] مطر شديد الوقع ﴿فتركه صلدًا﴾[3] أملس ليس عليه غبار أصلاً {لا يقدرون على شيء مما كسبوا} أي لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا ولا ينتفعون به قطعًا[4].

﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ الجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بأن كلا من الرياء والمن والأذى على الإنفاق من صفات الكفار ولابد للمؤمنين أن يجتنبوها[5].

فيتضح أن التعريض في قوله ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ حيث إن فيها تعريضاً بكون الصفات الذميمة المذكورة من الرياء والمن والأذى من صفات الكافرين فعلى المؤمنين اجتنابها.

---

(1) الصفوان الحجر الأملس العريض انظر تهذيب اللغة للإمام محمد بن أحمد الأزهري ١٢/١٧٥ ط دار إحياء التراث العربي بيروت الأولى ٢٠٠١م.

(2) الوابل المطر انظر المصباح المنير ٢/٦٤٦.

(3) صلدًا الصلد الحجر الأملس اليابس انظر لسان العرب ٣ – ٢٥٧.

(4) انظر تفسير القرطبي ٣ – ٣٨.

(5) انظر تفسير أبي السعود ١/٢٥٩ وانظر تفسير الألوسي ٣/ ٣٤ – ٣٥.

المثال السابع

قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]

هذا استئناف وتمهيد لقوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وذلك أن أساس الإسلام هو توحيد الله وتخليصه من شوائب الإشراك وفيه تعريض بالمشركين وبالنصارى واليهود وإن تفاوتوا فى مراتب الإشراك[١].

والآية تقرير للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له وهي شهادة الله تعالى وشهادة خواص خلقه أن شهادة الله فهي فيما أقامه من الحجج والبراهين القاطعة على توحيده وفي تنويع الأدلة على ذلك في الآفاق والأنفس.

وشهادة الملائكة إقرارهم بتوحيد الله وبما نزلوا به على الرسل ما نطقوا به من محامد وشهادة أولي العلم بما أقاموا من الحجج على الملاحدة.

﴿قائما بالقسط﴾ بيان لكماله تعالى في أفعاله أثر بيان كماله في ذاته قائما بالعدل في أفعاله وتدبيره ﴿لا إله إلا هو﴾ تمجيد وتصديق نشأ من شهادة الموجودات كلها له بذلك العزيز الغالب الحكيم في جميع أفعاله[٢].

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٣/١٨٦ – ١٨٧.

(٢) انظر تفسير الألوسى ٣-١٠٥ والسعدى ١٢٤.

المثال الثامن

﴿قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥] قال صاحب روح المعاني صدق الله ثبت وظهر صدقه في أن كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه وقيل في أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم على دين إبراهيم عليه السلام وأن دينه الإسلام وقيل في كل ما أخبر به ويدخل فيه ما ذكر دخولاً أولياً وفيه كما قيل تعريض بكذبهم بهم الصريح ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم﴾ وهي دين الإسلام فإنكم غير متبعين ملته كما تزعمون والخطاب لليهود ﴿حنيفًا﴾ مائلاً عن سائر الأديان الباطلة إلى دين الحق وما كان من المشركين في أمر من أمورهم أصلاً وفيه تعريض بشرك أولئك المخاطبين[1].

وقال صاحب التحرير والتنوير

﴿قل صدق الله﴾ هو تعريض بكذبهم لأن صدق أحد الخبرين المتنافيين يستلزم كذب الآخر فهو مستعمل في معناه الأصلي والكنائي[2].

ففي الآية تعريضان:

الأول في قوله ﴿قل صدق الله﴾ فهو تعريض بكذب اليهود.

الثاني في قوله {وما كان من المشركين} فيه تعريض بشركهم.

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٢/٥٩ وانظر تفسير الألوسي روح المعاني ٤/٤٠.

(٢) انظر التحرير والتنوير ٣/١١.

المثال التاسع

قوله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]، لما ذكر الله المنحرفين من أهل الكتاب بين حال المستقيمين منهم وأن منهم أمة مقيمة لأصول الدين وفروعه يجمعون بين الإيمان بالله وباليوم الآخر يأمرون بالخير وينهون عن الشر[١] وفي هذا الجزء من الآية إشارة إلى وفور نصيبهم من فضيلة تكميل الغير بعد الإشارة إلى وفوره من فضيلة تكميل النفس وفيه تعريض بأن إيمان اليهود بهما (أي بالله واليوم الآخر) مع قولهم عزيرا بن الله وكفرهم ببعض الرسل والكتب ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الإيمان بهما في شيء أصلاً.

﴿ويسارعون في الخيرات﴾ أي يبادرون إلى فعل الخيرات والطاعات خوف الفوات بالموت مثلا أو يعملون الأعمال الصالحة راغبين فيها غير متثاقلين عنها لما يعلمون من جلالة موقعها وحسن عاقبتها وهذه صفة جامعة لفنون الفضائل والفواضل وفي ذكرها تعريض بتباطؤ اليهود وتثاقلهم عن ذلك[٢].

ففي الآية الكريمة كما هو واضح تعريضان

---

(١) انظر تفسير السعدي ١٤٣.

(٢) انظر تفسير أبي السعود ٢/٧٤ تفسير الألوسي ٤/٣٤.

الأول: في قوله ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فهو تعريض باليهود الكافرين بالله واليوم الآخر.

الثاني في قوله: ﴿يسارعون في الخيرات﴾ وهو تعريض بتباطؤ اليهود وتكاسلهم عن الخيرات.

المثال العاشر

قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] هذه الآية حض على الجهاد وإعلام بأن الموت لابد منه وأن كل إنسان مقتول أو غير مقتول ميت إذا بلغ أجله المكتوب له فالجبن لا يزيد في العمر والشجاعة لا تنقص منه وفي الجملة تسلية في موت النبي صلى الله عليه وسلم[1].

﴿ومن يرد﴾ بعمله كالجهاد ثواب الدنيا كالغنيمة ﴿نؤته منها﴾ أي شيئًا يسيرًا من ثوابها إن شئنا وهذا تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أحد عن مصلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] ﴿ومن يرد ثواب الآخرة﴾ أي ما أعده الله فيها من النعيم لعباده ﴿نؤته منها﴾ أي من

---

(1) انظر تفسير الكشاف ٤٥١/١ وانظر الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد القرطبي ٢٢٦/٤ – ٢٢٧ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م وانظر البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان ٣ – ٧٦ ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(2) انظر الكشاف ٤٥١/١ وانظر تفسير النسفي ١٨٣/١ وانظر تفسير أبي السعود ٩٤/٢ وتفسير الألوسي ٧٨/٤.

ثوابها ما نشاء حسبما جرى به قلم الوعد الكريم والآية مدح للثابتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي وإن كانت نزلت في الجهاد إلا أنها عامة في جميع الأعمال. ﴿وسنجزي الشاكرين﴾ أما أن يراد بهم المريدون الآخرة أو جنس الشاكرين وهؤلاء داخلون فيهم دخولاً أوليًا[1].

ففي قوله تعالى ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ تعريض بالمنشغلين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم يوم أحد بأنهم أرادوا الدنيا وفيه حث في أن يطلب المسلم في جميع أعماله ثواب الآخرة.

المثال الحادى عشر

قوله تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]

أي وكم من نبي قاتل معه جموع كثيرة من أتباعهم الذين رباهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله﴾ أي فما ضعفت قلوبهم ولا وهنت أبدانهم ﴿وما استكانوا﴾ وما ذلوا لعدوهم بل ثبتوا وصبروا وشجعوا أنفسهم ولهذا قال ﴿والله يحب الصابرين﴾ وفي الكلام تعريض بما أصاب

---

[1] انظر المرجع السابق ٤/٧٨ - ٧٩.

المسلمين من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك[1].

قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] هذا كالتتميم والمبالغة في صلابتهم في الدين وعدم تطرق الوهن والضعف إليهم بالكلية وما كان قولهم في تلك المواطن الصعبة إلا طلب مغفرة الذنوب والإسراف وهو مجاوزة الحد إلى ما حرم الله لأن هذا من أسباب الخذلان والتخلي عنه من أسباب النصر وقد سألوا مغفرة الذنوب دون إتكال على جهدهم في الصبر وسألوا الله تثبيت أقدامهم ونصرهم على الكافرين فجمعوا بين الصبر وترك ضده الجزع والتوبة والاستغفار وطلب النصر فنصرهم الله وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة وفي الإخبار عنهم بأنه ما كان قولهم إلا هذا دون ما فيه شائبة جزع وخور وتزلزل من التعريض بالمؤمنين ما لا يخفى[2].

فيتضح مما سبق أن في الآيتين تعريضاً.

ففي الآية الأولى تعريض في وصف هؤلاء الربانيون بالصبر وعدم الضعف والاستكانة تعريض بما أصاب المسلمين من ضعف بسبب إشاعة قتل النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٤٥١.

(٢) انظر تفسير الألوسي ٤/٨٥.

وفي الآية الثانية تعريض حيث إنه أخبر أن هؤلاء الربانيين جمعوا في دعائهم بين طلب المغفرة وطلب الثبات وفي هذا تعريض بالمنهزمين في تزلزهم واضطرابهم وعدم صبرهم.

المثال الثانى عشر

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٧].

أي أخذوا الكفر بدلا من الإيمان رغبة فيما أخذوا وإعراضًا عما تركوا ولذا وضع اشتروا موضع بدلوا فإن الأول أظهر في الرغبة وأدل على سوء الاختيار وقوله تعالى ﴿لن يضروا الله شيئًا﴾ فيه تعريض ظاهر باقتصار الضرر على أنفسهم كأنه قيل وإنما يضرون أنفسهم وما ذكر في حيز الصلة لكونه علمًا في الخسران الكلي والحرمان الأبدي صريح في لحوق ضرره بأنفسهم وعدم تعديه إلى غيرهم أصلاً ودلل على سخافة عقولهم وركاكة أرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضارة أولياء الله تعالى الذين تكفل سبحانه لهم بالنصر {ولهم عذاب أليم} مؤلم والجملة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية إيلامه بعد ذكر نهاية عظمه[1].

يظهر مما سبق أن قوله ﴿لن يضروا الله شيئًا﴾ تعريض بالذين أخذوا الكفر بدلاً من الإيمان بأن ضررهم على أنفسهم.

---

[1] انظر تفسير الألوسي ٤/١٣٤.

المثال الثالث عشر

قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]

أي وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير يؤمنون بالله ويؤمنون بما أنزل إليكم وما أنزل إليهم وهذا هو الإيمان النافع لا كمن يؤمن ببعض الرسل والكتب ويكفر ببعض ولهذا لما كان إيمانهم عاما حقيقيًا صار نافعًا فأحدث لهم خشية الله وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه والوقوف عند حدوده وهؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ [فاطر:٢٨] ومن تمام خشيتهم لله إنهم لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً، فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون به ثمنًا قليلاً وأما هؤلاء فعرفوا الحق وأثروه وبينوه ودعوا إليه وحذرو عن الباطل فأثابهم الله الأجر الجزيل والثواب الجميل وأخبرهم بقربه وأنه سريع الحساب فلا يستبطئوا ما وعدهم الله لأن ما هو آت فهو محقق حصوله فهو قريب[1].

والآية سيقت لبيان أن أهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت صفاتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة وفيها تعريض بالمنافقين وذلك لأن المراد بالخشوع في خاشعين الخوف

---

[1] انظر تفسير السعدي ١٦٢.

اللازم للقلب من الله تعالى والمنافقين لا يؤمنون خوفًا من الله بل خوفًا من القتل[١].

مما سبق يتضح أن في قوله تعالى ﴿خاشعين﴾ تعريض بالمنافقين لأنهم لا يؤمنون خوفًا من الله بل خوفًا من القتل.

المثال الرابع عشر

قوله تعالى ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيماً﴾ [النساء: ٣٩]

﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ أي ما الذي عليهم أو أي وبال وضرر يحيق بهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله من الأموال على الطوائف المذكورة والاستفهام إنكاري توبيخي فالمراد توبيخهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه تنبيههم على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب احتياطًا فكيف إذا تدفقت منه المنافع[٢] ﴿وكان الله بهم عليمًا﴾

معترضة في آخر الكلام وهي تعريض بالتهديد والجزاء على سوء أعمالهم[٣].

---

(١) انظر تفسير الألوسى ٤/ ١٧٣ – ١٧٤.

(٢) انظر تفسير الألوسي ٣١/٥ وتفسير السعدي ١٧٨.

(٣) انظر التحرير والتنوير ٥٤/٤ – ٥٥.

فالتعريض في قوله ﴿وكان الله بهم عليمًا﴾ هو تعريض بتهديدهم على سوء أفعالهم.

المثال الخامس عشر

قوله تعالى ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي يخافون الله تعالى والمراد رجلان من المتقين.

ووصفهما بذلك تعريض[١] بأن من عداهما من القوم لا يخافون الله تعالى بل يخافون العدو ﴿أنعم الله عليهما﴾ بالتوفيق وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم وأنعم عليهما بالصبر واليقين ﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ أي ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنهم سيهزمون ثم أمرهم بعده هي أقوى العدد فقال ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ فإن في التوكل على الله وخصوصًا في هذا الموطن تيسيرًا للأمر ونصرًا على الأعداء[٢].

(يتضح مما سبق أن التعريض هو في قوله ﴿يخافون﴾ أي يخافون الله تعريض بأن من سواهم يخافون العدو).

---

[١] انظر تفسير أبي السعود ٣/٢٤ وانظر تفسير الألوسي ٦/١٠٧.

[٢] انظر تفسير السعدي ٢٢٨.

المثال السادس عشر

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية شروع في بيان حال المرتدين على الإطلاق بعد أن نهى سبحانه عن موالاة اليهود والنصارى وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير من يواليهم من المنافقين وفي هذه الآية يخبر الله عز وجل أنه الغني عن العالمين وأن من يرتد عن دينه لا يضر الله بل يضر نفسه وأن لله عبادًا مخلصين ورجالاً صادقين تكفل الله بهدايتهم ووعد بالاتيان بهم ووصفهم بأنهم ﴿يحبهم﴾ اللهم محبة لائقة بذاته ﴿ويحبونه﴾أي يميلون إليه جل شأنه ميلاً صادقًا فيطيعون الأوامر ويجتنبون النواهي {أذلة على المؤمنين} عاطفين عليهم متذللين لهم.

﴿أعزة على الكافرين﴾ أشداء عليهم متغلبون ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ بالجهاد لإعلاء كلمته وإعزاز دينه ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ في الجهاد أو في كل ما يأتون ويذرون وهو عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جامعون بين المجاهدة والتصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين الذين كانوا إذا خرجوا في جيش المسلمين كانوا لا يكادون يفعلون شيئًا خوفًا من لوم أولياؤهم اليهود[1].

---

[1] انظر التفسير ابي السعود ٣ – ٥٢ وتفسير الألوسي ٦/ ١٦٠ – ١٦٤ وتفسير السعدي ٢٣٥.

﴿ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ أي أنهم يقدمون رضا الله والخوف منه على الخوف من المخلوقين ولومهم وهذا من فضل الله عليهم فهو واسع الفضل عليم بمن يستحقه[1].

يتضح مما سبق أن في قوله ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ تعريضاً بالمنافقين الذين كانوا إذا خرجوا في جيش المسلمين لا يجاهدون خوفًا من لوم اليهود لهم.

المثال السابع عشر

قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

قل إني نهيب أمر له صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى خطاب المصرين على الشرك أثر ما أمر بمعاملة من عداهم بما يليق بحالهم أي قل لهم لأطماعهم الفارغة عن ركونك إليهم وبيانا لكون ما هم عليه هوى محضاً وضلالاً صرفًا إني صرفت ومنعت بالأدلة الحقانية والآيات القرآنية عن عبادة الآلهة التي تدعو ﴿أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله سواء كانوا ذوي عقول أم لا﴾ ﴿قل لا أتبع أهوائكم﴾ تكرير الأمر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به وإيذانا باختلاف القولين من حيث أن الأول حكاية لما مر من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما مر من جهته عليه السلام من الانتهاء عن عبادة ما يعبدون وفي هذا

---

[1] انظر تفسير السعدي ٢٣٦.

القول استجهال لهم وتنصيص على أنهم فيما هم فيه من عبادة غير الله تابعون لأهواء لهم باطلة.

﴿قد ضللت﴾ أي إن اتبعت أهوائهم ﴿وما أنا من المهتدين﴾ أي وما أنا في شيء من الهدى حتى أعد في عدادهم وفيه تعريض بأن المقول لهم كذلك[1] يتضح مما سبق أن في قوله قد ضللت إذاً ﴿وما أنا من المهتدين﴾ تعريضاً بالمشركين بأنهم في ضلال وليسوا على الهدى في شيء وفيه من الحسن ما فيه حيث لم يصفهم بذلك على سبيل التصريح.

المثال الثامن عشر

قوله تعالى ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]

قال موسى عليه السلام في تمام دعائه ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة من علم نافع ورزق واسع وعمل صالح ﴿وفي الآخرة﴾ حسنة وهي ما أعده الله لأوليائه الصالحين ﴿هدنا﴾ تبنا ورجعنا معترفين بتقصيرنا منيبين في جميع أحوالنا قال الله تعالى ﴿عذابي أصيب به من أشاء﴾ من كان شقيًا متعرضًا لأسبابه ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ من العالم العلوي والسفلي والبر والفاجر والمؤمن والكافر، ولكن الرحمة الخاصة

---

(١) انظر تفسير الألوسي ١٦٨/٧.

المقتضية لسعادة الدارين ليست لكل أحد ولذا قال عنها {فسأكتبها للذين يتقون المعاصي صغارها وكبارها وفيه تعريض بقوم موسى كأنه قال لا قومك لأنهم غير متقين[1] ﴿ويؤتون الزكاة﴾ الواجبة مستحقيها وفيه تعريض بهم حيث كانت الزكاة شاقة عليهم[2] {والذين هم بآياتنا يؤمنون} أي بجميع الآيات وفيه تعريض بقوم موسى في كفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عليه السلام[3] يتضح مما سبق أن في الآية الكريمة ثلاثة تعريضات:

الأول: في قوله ﴿يتقون﴾ تعريض بقوم موسى في أنهم غير متقين.

الثاني: في قوله ﴿ويؤتون الزكاة﴾ تعريض بهم في أن الزكاة كانت شاقة عليهم.

الثالث: ﴿بآياتنا يؤمنون﴾ تعريض بهم في كفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عليه السلام.

المثال التاسع عشر

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]

إن الذين عند ربك وهم ملائكة الملأ الأعلى والمراد من العنديه، القرب من الله بالزلفى والرضا لا المكانية لتنزه الله تعالى عن ذلك ﴿لا

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٢٧٨/٣.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) انظر المرجع السابق ٢٧٩/٣ وانظر تفسير الألوسي ٩ - ٧٦.

يستكبرون عن عبادته﴾ بل يؤدون لها حسبما أمروا به ﴿ويسبحونه﴾ أي ينزهونه عما لا يليق بحضره كبريائه على أبلغ وجه ﴿وله يسجدون﴾ أي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين[١] كما يدل عليه تقديم له وجاز أن يؤخذ من مجموع الكلام لأنه تعليل للسابق على معنى ائتوا بالعبادة على وجه الإخلاص كما أمركم فإن لم تؤتوها كذلك فإنا مغنون عنكم وعن عبادتكم إن لنا عبادًا مكرمين من شأنهم كذا وكذا فالتقديم على هذا للفاصلة ولما في هذه الآية من التعريض شرع السجود عند هذه الآية إرغامًا لمن أبي ممن عرض به[٢].

وجاء في التحرير والتنوير ﴿ولا يستكبرون عن عبادته﴾ ليس المقصود به التنويه بشأن الملائكة فالتنويه بهم أفضل من ذلك وإنما أريد به التعريض بالمشركين وأنهم على النقيض من أحوال الملائكة المقربين فخليق بهم أن يكونوا بعداء عن منازل الرفعة والمقصود هو قوله ﴿يسبحونه﴾ أي ينزهونه بالقول والاعتقاد عن صفات النقص وهذه الصلة هي المقصودة من التعليل للأمر بالذكر[٣].

من خلال ما سبق يتضح أن في الآية الكريمة تعريضاً بالمشركين لكن في موضع التعريض اختلاف على ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر الكشاف ١٨٢/٢، وانظر تفسير أبي السعود ٣١٠/٣، وتفسير الألوسي ١٥٥/٩.

(٢) انظر تفسير الألوسي ١٥٥/٩.

(٣) انظر التحرير والتنوير ٢٤٣/٥ - ٢٤٤.

الأول أنه في ﴿وله يسجدون﴾ أي يخصونه أعنى الملائكة بغاية العبادة لا يشركون معه غيره.

ففيه تعريض بالمشركين معه غيره في العبادة وإلى هذا ذهب صاحب الكشاف وصاحب إرشاد العقل السليم وصاحب روح المعاني.

الثاني: أن يكون التعريض في مجموع الآية لأنها كالتعليل لما قبلها كأن المراد ائتوا بالعبادة على وجه الإخلاص وإن لم تفعلوا فإن الله غني عنكم لأن له عبادًا مكرمين صفاتهم كيت وكيت وإلى هذا ذهب صاحب روح المعاني.

الثالث أن التعريض في ﴿فإن استكبروا﴾

فهو تعريض بالمشركين في أنهم على النقيض من أحوال الملائكة المقربين ولذا كانوا بعيدين عن منازل الرفعة وإلى هذا ذهب صاحب التحرير والتنوير.

المثال العشرون

قوله تعالى ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]

أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار ما يفتح لهم باب التوبة والإنابة.

﴿إن ينتهوا﴾ عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الإسلام أو عماهم عليه من الكفر وأثاره يغفر

لهم ما قد سلف أي من العداوة والقتال والآية دليل أن الإسلام يجب ما قبله.

وإن يعودوا إلى القتال أو العداوة أو إلى الكفر الذي هم عليه فالعود بمعنى الاستمرار ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ مضت تقدمت ﴿سنة الأولين﴾ تقدمت السنة السيرة والعادة المألوفة.

وهذا الخبر تعريض بأنهم سيلقون ما لقيه الأولون والقرينة على إرادة التعريض بالوعيد أن ظاهر الأخبار بمضى سنة الأولين وهو الإخبار بشيء معلوم للمخبرين به وبهذا الاعتبار حسن تأكيده بقد إذ المراد تأكيد المعنى التعريضى[١].

يتضح مما سبق في قوله ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ تعريض بأنهم سيلقون ما لقيه الأولون من العذاب الشديد.

المثال الحادى والعشرون

قوله تعالى ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢١ – ٢٢]

{ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون المقصود الأهم منها التعريض بأهل هذه الصلة من الكافرين أو المنافقين لا خشية وقوع المؤمنين في مثل ذلك[٢].

---

(١) انظر فتح القدير ٣٨٧/٢ والتحرير والتنوير ٣٤٦/٥.

(٢) انظر التحرير والتنوير ٣٠٤/٥ – ٣٠٥.

فهؤلاء المعرض بهم يسمعون بآذانهم من غير عمل فهم كمن لم يسمع أصلاً لأنه لم ينتفع بما سمعه[1].

وجملة ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ معترضة وموقعها في هذا الموضع تعريض بالذين قالوا ﴿سمعنا وهم لا يسمعون﴾ بأنهم يشبهون دواب صماء بكماء[2].

والمراد إن شر الدواب عند الله من لم تفد فيهم الآيات وهم الصم عن استماع الحق البكم عن النطق به ﴿الذين لا يعقلون﴾ ما ينفعهم ويؤثرونه على ما يضرهم فهؤلاء شر عند الله من شرار الدواب لأن الله أعطاهم أسماعًا وأبصارًا وأفئدة ليستعملوها في طاعة الله تعالى فاستعملوها في معاصيه وعدموا بذلك الخير الكثير فإنهم كانوا لصدد أن يكونوا من خير البرية فأبوا هذا الطريق واختاروا لأنفسهم أن يكون من شر البرية[3].

يتضح مما سبق أن في الآيتين تعريضاً أما فى الآية الأولى فهو تعريض بالكافرين والمنافقين الذي يسمعون بأذانهم بلا عمل وأما في الآية الثانية فهو تعريض بهؤلاء بأنهم دواب صماء بكماء.

---

(١) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني ٣٧٤/٢ ط دار المعرفة بيروت الأولى ١٤١٥ – ١٩٩٥م.

(٢) انظر التحرير والتنوير ٥ – ٣٠٥.

(٣) انظر تفسير السعدي ٣١٨.

المثال الثانى والعشرون

قوله تعالى ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١](١).

فرح المخلفون الذين خلفهم الكسل والنفاق ﴿بمقعدهم﴾ مصدر ميمي أي فرح بقعودهم خلاف رسول الله أي خلفه حيث خرج ولم يخرجوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله إيثاراً للراحة والتنعم بالمآكل والمشارب مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق وإيثار ما في النظم على أن يقال وكرهوا أن يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إيذانًا بأن الجهاد في سبيل الله تعالى مع كونه من أجل الرغائب التي ينبغي أن يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه وخرجوا بأقبح القبائح وهو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الكلام تعريض بالمؤمنين الذين أثروا ذلك فأحبوه ابتغاء لرضا الله ورسوله ﴿وقالوا﴾ لإخوانهم تثبيطاً لهم إلى القعود وتواصياً بالفساد أو قالوا للمؤمنين تثبيطًا لهم عن الجهاد ونهيًا عن المعروف لا تنفروا في الحر لا تخرجوا إلى الجهاد في الحر فإنه لا يستطاع شدته ﴿قل نار جهنم﴾ قل يا محمد ردًا عليهم وتجهيلاً لهم ﴿نار جهنم﴾ التي هي مصيركم بسبب فعلكم ﴿أشد حرًا﴾ من هذا الحر الذي ترونه مانعًا من النفير فما لكم لا تحذرونها وتعرضون أنفسكم لها بقعودكم عن الجهاد ومخالفتكم لله ورسوله صلى الله عليه

---

(١) انظر الكشاف ٢٨٢/٢ وانظر البحر المحيط ٨١/٥.

وسلم ﴿لو كانوا يفقهون﴾ لو كانوا يعلمون أنها كذلك أحوالها وأهوالها وأن مرجعهم إليها لما آثروا راحة زمن قليل على عذاب للأبد[1].

يتضح مما سبق أن في إخباره عن المخلفين من الأعراب بأنهم ﴿كرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ تعريضاً بالمحبين للجهاد بالأموال والأنفس من المؤمنين.

وفي الآية الكريمة تعريض آخر هو في قوله تعالى ﴿قل نار جهنم أشد حرًا﴾.

حيث إن العبارة لم يقصد بها إعلام المنافقين المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك بأن نار جهنم أشد حراً من حرارة الفصل الصيفي الذي خرج فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون.

فهذا أمر واضح ولكن المقصود التعريض بأن هؤلاء المنافقين هم من أهل جهنم التي تكويهم بحرها يوم الدين)[2].

وفي هذا ما فيه من بلوغ القرآن أعلى درجات البلاغة والفصاحة.

المثال الثالث والعشرون

قوله تعالى ﴿لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨]

---

(1) انظر تفسير الألوسي ١٠/١٥١.

(2) انظر الكناية والتعريض ٥٨ - ٥٩. وانظر البلاغة العربية ٢/ ١٥٦.

استدراك لما فهم من الكلام والمعنى إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فلا ضير فإنه قد سعى على أتم وجه من هو خير منهم على حد قوله تعالى ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام ٨٩]

أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة ذلك ﴿الخيرات﴾ أي المنافع الدنيوية كالنصر والغنيمة والأخروية وهي الجنة ونعيمها ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون دون من حاز بعضًا يفنى عما قليل[1].

وفي الآية تعريض بأن القوم ليسوا من الإيمان بالله تعالى في شيء وإن لم يعرضوا عنه صريحًا إعراضهم عن الجهاد باستئذانهم في القعود.

يظهر من هذا الكلام أن في الآية تعريض بالمتخلفين عن الجهاد بغير عذر تعريض بعدم إيمانهم.

المثال الرابع والعشرون

قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]

لما قرر ربوبيته وإلهيته ذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله في أسمائه وصفاته من الشمس والقمر والسماوات والأرض وجمع ما خلق فيهما من سائر أصناف المخلوقات[2].

---

(١) انظر تفسير الألوسي ١٠/ ١٥٦ – ١٥٧.

(٢) انظر تفسير السعدي ٣٥٨.

وجعل الله التفصيل لقوم يعلمون أي الذين من شأنهم العلم لما يؤذن به المضارع من تجدد العلم وإنما يتجدد لمن هو ديدنه ودأبه فإن العلماء هم أصل العقول الراجحة هم أهل الانتفاع بالأدلة والبراهين[1].

يتضح مما سبق أن فى قوله ﴿لقوم يعلمون﴾ تعريضاً بالذين لم ينتفعوا بتفصيل الآيات بأنهم ليسوا من أهل العلم.

المثال الخامس والعشرون

قوله تعالى ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]

قال الإمام الزمخشري ﴿ما نراك إلا بشرا مثلنا﴾ تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملأ ومواز لهم فما جعلك أحق منهم بالنبوة ألا ترى إلى قولهم {وما نرى لكم علينا من فضل}[2].

وإلى مثل ذلك ذهب الإمام ابن الأثير في المثل السائر[3].

وقال صاحب التحرير والتنوير في تفسير الآية وبيان التعريض فيها الملأ سادة القوم هؤلاء لما دعاهم سيدنا نوح على نبينا وعليه

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٩٧/٦.

(٢) انظر الكشاف ٣٦٨/٢.

(٣) انظر المثل السائر ٢٠٠/٢.

وانظر الكناية والتعريض للإمام عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ص ٥٨ ط دار قباء ١٩٩٨ تحقيق د/عائشة حسين فريد.

الصلاة والسلام دعوة علم منها أنه يقودهم إلى طاعته فكروا وقدروا فرأوا الأسباب المألوفة عندهم للسيادة والمتمثلة في عظم الأجسام والغنى مفقودة فيه وأتباعه فجزموا بأنه ليس أهل للسيادة عليهم فكذبوه فيما ادعاه من الرسالة فقالوا ﴿ما نراك إلا بشرا مثلنا﴾ أسندوا الاستدلال إلى الرؤية وهي رؤية عين لأنهم جعلوا استدلالاهم ضرباً من المحسوس من أحوال الأجسام أي ما نراك غير إنسان مماثل للناس لا يزيد عليهم جوارح أو قوائم زائدة والبشر محركة الإنسان ذكر كان أو أنثى ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ الأراذل جمع أرذل أو رذيل وهو المحتقر أرادوا أنهم من لفيف القوم غير سادة ولا أثرياء.

فنفوا عنه السيادة من جهة ذاته وأشياعه وذلك تعريض بأنهم لا يتبعونه لأنهم يرتفعون من مخالطة أمثالهم وأنه لو أبعدهم عنه لاتبعوه ولذلك ورد بعده ﴿وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [هود: ٢٩] ﴿بادي الرأي﴾ أي فيما يبدو لهم من الرأي دون بحث عن خفاياه ودقائه أي هؤلاء غرتهم دعوتك وتسرعوا إلى اتباعك ولو أعادوا النظر والتأمل لما اتبعوك ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ نفوا وجود فضل لنوح ولأتباعه المؤمنين عليهم والفضل الزيادة في الشرف والكمال ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ زعموا أن نوح كاذب في دعواه وأتباعه كاذبون في دعوى حصول اليقين بصدق نوح[1].

وبناء على ما سبق يتبين أن التعريض في موضعين من الآية الأول في قوله ﴿وما نراك إلا بشرًا مثلنا﴾ فهو إشارة بأنهم أي قوم أحق

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٦/٤٥ - ٤٩.

بالنبوة منه أي من سيدنا نوح عليه السلام ودليل هذا التعريض قوله ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ وهذا هو رأي الإمام الزمخشري والإمام ابن الأثير الثاني ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾.

فهو تعريض بأنهم لا يتبعونه لأنهم يترفعون عن مخالطة هؤلاء الذين هم أراذل في نظرهم وأنه لو أبعدهم لاتبعوه ودليل هذا التعريض قوله تعالى ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ وهذا هو رأي صاحب التحرير والتنوير.

المثال السادس والعشرون

قوله تعالى ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]

يقول سيدنا شعيب لقومه تهديدًا لهم ﴿اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي على حالكم التي أنتم عليها من الكفر والمشاقة لي وسائر مالا خير فيه ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على مكاني حسبما يؤيدني الله تعالى ويوفقني بأنواع التأييد والتوفيق وكأنه حذف على مكانتي للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) لما بالغ القوم في الاستهزاء والاستهانة به بالغ إيعادهم بالعذاب وتهديدهم به وجمله يخزيه صفة ﴿عَذَابٌ﴾ ووصفه بالإخزاء تعريض بما أوعدوه عليه الصلاة

والسلام من الرجم فإنه مع كونه عذابًا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون إلا بجناية عظيمة توجبه[١].

﴿ومن هو كاذب﴾ في زعمكم أي ستعلمون حالكم وحال الصادق الذي سميتموه كاذبًا.

وقوله ﴿ومن هو كاذب﴾ متضمن ذكر جرمهم الذي يجازون به وهو الكذب وهو عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وأنت تعني المخاطب في الكلامين فيكون في ذكر كذبهم تعريض لصدقه وهو أبلغ وأوقع من التصريح ولذلك لم يذكر عاقبة شعيب استغناء بذكر عاقبتهم ﴿وارتقبوا﴾ أي انتظروا ما أعدكم به من حلول العذاب ﴿إني معكم رقيب﴾ أي منتظر لذلك[٢].

يتضح مما سبق أن فى الآية تعريضين:

الأول في قوله ﴿يخزيه﴾ فيه تعريض بما أوعدوه من الرجم فهو يضم إلى كونه عذاب كونه مخزي.

الثاني قوله ﴿ومن هو كاذب﴾ فيه إشارة:

بصدق سيدنا شعيب عليه السلام.

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٤/٢٣٧.

(٢) انظر تفسير الألوسي ١٢/١٢٦ – ١٢٨ وتفسير السعدي ٣٨٨.

المثال السابع والعشرون

قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]

أي تولى يعقوب من أولاده وقال لهم: يا أسفى على يوسف تعريض[١].

بدعاء الله أن يزيل أسفه برد يوسف عليه السلام إليه لأنه كان يعلم أن يوسف لم يهلك ولكنه بأرض غرب مجهولة علمه ذلك إنما هو بوحي أو فراسة صادقة.

وابيضت عيناه من الحزن أي بسببه وهو في الحقيقة سبب للبكاء والبكاء سبب لابيضاض عينيه فإن العبرة إذا كثرت سحقت سواد العين وحولته إلى بياض كدر كظيم مملوء غيظًا على أولاده ممسك غيظه في قلبه أو مملوء من الحزن ممسك له لا يبديه[٢].

يتضح مما سبق أن في قوله {يا أسفى على يوسف} تعريضاً بدعاء الله أن يزيل أسفه على يوسف.

---

(١) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين البقاعي ٨٩/٤ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م وانظر التحرير والتنوير ٤٤/٧.

(٢) انظر تفسير الألوسي ٤٠/١٣ - ٤١ وتفسير السعدي ٤٠٤.

المثال الثامن والعشرون

قوله تعالى ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

وفي الأرض قطع متجاورات أي بقاع كثيرة مختلفة في الأوصاف فمن طيبة منبتة ومن سبخة لا تنبت ومن رخوة ومن صلبة ومن صالحة للزرع لا للشجر ومن صالحة لا للزرع ومتجاورات متلاصقة وجنات من أعناب أي بساتين كثيرة من شجر الكروم وزروع من كل نوع من أنواع الحبوب وتقديم الجنات على الزرع لأن فيها ما يبهر العقول صنوان وغير صنوان، الصنوان هو الفرع الذي يجمعه وآخر أصل واحد.

يسقى جميع ما ذكر بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان من ماء الأمطار أو مياه الأنهار ونفضل بعض ما ذكر على الآخر في الأكل.

﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يعملون على قضية عقولهم فإن من عقل هذه الأحوال العجيبة وخروج الثمار المختلفة في الأشكال والألوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتلاصقة مع اتحاد ما تسقى به بل وسائر أسباب نموها لا يتلعثم في الجزم بأن لذلك صانعًا حكيمًا قادرًا مدبرًا لها لا يعجزه شيء وفيه تعريض بأن المشركين غير

عاقلين[1] فيتضح مما سبق أن في قوله {لقوم يعقلون} تعريض بالمشركين في أنهم لا عقل لهم.

المثال التاسع والعشرون

قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ أي يكذبك الكفار.

﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فإنه عز وجل قد أظهر على رسالتي من الأدلة والحجج ما فيه غنى عن شهادة شاهد آخر ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز والشهادة إن أريد تحملها فالأمر ظاهر وإن أريد أداؤها فالمراد بالموصول المتصف والعنوان من ترك العناد وآمن وفي الكشف أن المعنى كفى في هذا العالم شهيدًا بين وبينكم ولا يلزم من كفايته أن يؤديها فمن أداها فهو شاهد أبين ومن لم يؤدها فهو خائن وفيه تعريضاً بليغ بأنهم لو أنصفوا شهدوا[2].

فالتعريض في قوله ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ وهو من علم بالقرآن وما فيه من نظم معجز ورغم ذلك لم يشهد بالحق.

---

(1) انظر تفسير أبي السعود ٥/٥. وانظر تفسير الألوسى ١٣ – ١٠١ – ١٠٣.

(2) انظر تفسير الألوسي ١٣/١٧٥ – وتفسير السعدي ٤٢٠.

المثال الثلاثون

قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]

الإشارة بذلك على جميع ما تضمنته القصة من أول ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحجر:٥١] فيها آيات كثيرة منها نزول الملائكة في بيت إبراهيم وبشارته بغلام حليم وإعلامه بما سيحل بقوم لوط كرامة لإبراهيم ونصر لوط بالملائكة وإنجاء لوط عليه السلام وآله وإهلاك قومه وامرأته لمناصرتها إياهم والآيات الأدلة أي دلائل من حقائق من الهداية وضدها وعلى تعرض المكذبين لرسلهم لعقاب شديد والمتوسمين أصحاب التوسم وهو التأمل من السمة أي العلامة الدالة على العلم والمراد للمتأملين في الأسباب وعواقبها وأولئك هم المؤمنون وهو تعريض بالذين لم تردعهم العبر بأنهم دون مرتبة النظر تعريضًا بالمشركين الذين لم يتعظوا بأن يحل بهم ما حل بالأمم من قبلهم التي عرفوا أخبارها ورأوا آثارها[1].

يظهر مما سبق أن في قوله ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ تعريضاً بالمشركين الذين لم يعتبروا ويتعظوا بماحل بالمكذبين قبلهم بأنهم دون مرتبة النظر والتأمل.

المثال الحادى والثلاثون

قوله تعالى ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٦٩/٧ - ٧٠.

أي أنزل الله الماء من السحاب الرقيق فيشرب منه الناس وتشرب مواشيهم ويسقون منه حروثهم فتخرج لهم الثمرات المختلفة والنعم الغزيرة[1].

﴿لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية الدلالة على أنه تعالى المبدع الحكيم وتلك هي إنبات أصناف مختلفة من ماء واحد ونيطت دلالة هذه بوصف التفكر لأنها دلالة خفية لحصولها بالتدريج وهو تعريض بالمشركين الذين لم يهتدوا بما في ذلك من دلالة على تفرد الله بالآلهية بأنهم قوم لا يتفكرون [2].

فالتعريض في قوله ﴿لآيات لقوم يتفكرون﴾ وهو تعريض بالمشركين بأنهم لا تفكر لهم.

المثال الثاني والثلاثين

قوله تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]

﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ أي القرآن ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل عليه السلام المنزه عن كل عيب ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ يشتمل على الحق في أوامره ونواهيه وأخباره وما عارضه وناقضه باطل ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ عند نزول آياته وتواردها عليهم وقتًا بعد وقت فلا يزال الحق يصل إلى قلوبهم شيئًا فشيئًا حتى يكون إيمانهم أثبت من الجبال الرواسي.

---

(١) انظر تفسير السعدي ٤٣٦.

(٢) انظر التحرير والتنوير ١١٥/٧.

فقوله ﴿وهدى وبشرى للمسلمين﴾ تعريض بحصول أضداد هذه الصفات لغيرهم من الكفار حيث إن قوله ﴿قل نزله روح القدس﴾ جواب عن قولهم ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١] فكانت تلك الجملة تكفي في الجواب فالزيادة لمكان التعريض {وهدى وبشرى للمسلمين} أي المؤمنين يهديهم إلى حقائق للأشياء ويبين لهم الحق من الباطل ويبشرهم بأن لهم أجرًا حسنًا[1].

فواضح مما سبق أن في قوله {ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين} تعريضاً بالكفار حيث إنهم لا يتصفون بهذه الصفات.

المثال الثالث والثلاثون

﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾ [الإسراء: ١٠٧– ١٠٨]

الجملة استئناف خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ليلقنه بما يقول للمشركين الذين لم يؤمنوا بأن القرآن نزل من عند الله يخاطبهم بأن الله تعالى يستو عنده إيمانهم وعدم إيمانهم وفي هذا كناية عن الإعراض عنهم وتحقيرهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وجملة إن الذين أوتوا العلم تعليل لمعنى التسوية بين إيمانهم وعدمه أو للفعل قل أو لكليهما أي إنما كان إيمانكم بالقرآن وعدمه سواء لأنه مستغن عن إيمانكم إيمان الذين أوتوا العلم قبل نزوله فهم أرجح منكم أحلامًا.

---

[1] انظر الكشاف٢/٥٩٢ وانظر تفسير الألوسي١٤/٢٣٢ و انظر تفسير السعدي٤٤٩.

وأفضل مقامًا وهم الذين أوتوا العلم فإنهم إذا يسمعونه يؤمنون به ويزيدهم إيمانا بما في كتبهم من الوعد بالرسول الذي أنزل هذا عليه وفي هذا تعريض بأن الذين أعرضوا عن القرآن جهلة وأهل جاهلية والمراد بهم الذين أمنوا بعد نزول السور من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام[1] وأمثاله.

وهؤلاء عند مشاهدة آية من دلائل علمه وصدق رسله وتحقيق وعده يجمعون بين الفعل الدال على الخضوع وهو السجود وبين القول الدال على التنزيه والتعظيم والتعجب والبهجة من تحقق وعد الله في التوراة والإنجيل بمجيء الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم[2].

يتبين مما سبق أن في وصف المؤمنين بالقرآن بأنهم {أوتوا العلم} تعريضاً بالكافرين به وأنهم أهل جهل وجاهلية.

المثال الرابع والثلاثون

قوله تعالى ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً﴾ [مريم: ٤٨]

---

[1] عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف النبي عليه السلام كان من بني قينقاع وكان اسمه الحصين فغيره النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه ابناه يوسف ومحمد ومن الصحابة أبو هريرة وأنس بن مالك أسلم أول قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، توفي سنة ٤٣هـ بالمدينة = انظر الإصابة ١١٨/٤ - ١١٩. للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى ط دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

[2] انظر التحرير والتنوير ٢٣٢/٧ - ٢٣٤.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ عطف على ﴿سأستغفر﴾ أي أتباعد عنك وعن قومك ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي ﴿وَأَدْعُو رَبِّي﴾ أي أعبده سبحانه وهو كما يفهم من اجتناب غيره تعالى من المعبودات.

﴿عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ خائبًا ضائع السعي وفيه تعريض بشقاوتهم في عبادة آلهتهم[1].

{فالتعريض} في قوله ﴿عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ وهو تعريض بالمشركين في أنهم أشقياء في عبادتهم غير الله.

المثال الخامس والثلاثون

﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٢ – ٦٣]

في الآية الكريمة تعريضان

الأول في قوله ﴿بل فعله كبيرهم﴾ هذا جاء في التفسير الكبير فإن قيل قوله {بل فعله كبيرهم} كذب والجواب للناس فيه قولان أحدهما وهو قول كافة المحققين أنه ليس بكذب وذكروا في الاعتذار عنه وجوهًا أحدها أن قصد إبراهيم عليه السلام إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم إنما قصد تقرير ذلك لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابًا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٢٦٩/٥ وانظر تفسير الألوسي ١٠٢/١٦.

أمي لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك لهذا الجواب تقرير ذلك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأمي أو المخرمش لأن إثباته والأمر دائر بينهما للعاجز منهما استهزاء به وإثبات للقادر **وثانيها** أن إبراهيم عليه السلام غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مزينة وكان غيظه من كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأنه هو السبب في استهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند إلى مباشرة يسند إلى الحامل عليه، **ثالثها** أن يكون حكاية لما يلزم على مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلهاً أن يقدر على هذا وأشد منه[1] وهذه الوجوه الثلاثة ذكرها صاحب الكشاف[2].

القول الثاني وهو قول طائفة من أهل الحكايات أن ذلك كذب واحتجوا من جهة النقل بحديث {لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله إني سقيم} وقوله {بل فعله كبيرهم هذا} وواحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة

---

(1) هذا الوجه أيضًا على سبيل التعريض بعجز الأصنام وعدم أحقيتها للإلهية والعبادة جاء في الاتقان نقلاً عن الإمام السبكي {نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة كأنه غضب أن تعبد الصغار معه تلويحًا لعابديها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل والإله لا يكون عاجزًا. انظر الإتقان ٢/١٠٤.

(2) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري ٣/١٢٥ دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق عبد الرزاق المهدي.

وكانت أحسن الناس فقال لها إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه إنك أختي فإنك أختي في الإسلام ولا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك)[١].

واحتجوا من جهة العقل بأن الكذب ليس قبيحا لذاته فإن النبي عليه السلام إذا هرب من ظالم واختفى في دار إنسان وجاء الظالم وسأل عن حاله فإنه يجب الكذب فيه وإذا كان كذلك فأي بعد في أن يأذن الله تعالى في ذلك لمصلحة لا يعرفها إلا هو والجواب عن ذلك هذا كلام مرغوب عنه أما الحديث فمحمول على المعاريض أما قوله إني سقيم فالمراد سأسقم لأن الإنسان عرضه للأسقام أو سقيم بما قدر على من الموت أما قوله بل فعله كبيرهم هذا فقد باب الجواب عنه أما قوله في شأن سارة إنها أختي في الإسلام فهو صحيح في باطن الأمر وهي أيضًا في ذات الله لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعه فاحشة عظيمة وإنما خص الثنتين أنها في ذات الله لكون الثالثة تضمنت نفعًا له وحظًا مع كونها في ذات الله تعالى[٢].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى {واتخذ الله إبراهيم خليلاً} النساء ١٢٥ انظر صحيح البخاري مع الفتح ٣٩١/٦.
وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم عليه السلام رقم ٢٣٧١ واللفظ للإمام مسلم انظر صحيح مسلم ١٨٤٠/٤.

(٢) انظر تفسير الرازي، ١٦٠/٢٢ – ١٦١ وانظر شرح الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي على صحيح مسلم ١٥ هـ ١٢٤ – ١٢٥ ط دار إحياء التراث العربي بيروت الثانية ١٣٩٢هـ، وانظر فتح الباري ٣٩٢/٦.

أما الدليل العقلي فيقال لهم لو جاز أن يكذبوا لمصلحة وبإذن الله فيه فتقول لهم فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما أخبروا عنه وكل ما أخبر الله عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع وتطرق التهمة إلى كلها)[1].

ومن العلماء الذين ذكروا هذا الجزء من الآية كمثال للتعريض الإمام ابن الأثير حيث قال مما جاء منه (أي التعريض) قوله تعالى ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ وذلك على سبيل الاستهزاء وهذا من رموز الكلام والقصد فيه أن قول إبراهيم عليه السلام لم يرد به نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من إلزام الحجة والاستهزاء بهم وقد يقال في هذا غير ما أثرت إليه وهو أن كبير الأصنام غضب أن تعبد معه هذه الأصنام فكسرها وغرض إبراهيم عليه السلام من ذلك أنه لا يجوز أن يعبد مع الله تعالى من هو دونه مخلوق من مخلوقاته فجعل إحالة القول إلى كبير الأصنام مثالاً لما أراده[2].

ومنهم الإمام ابن القيم في الفوائد المشوق[3].

وكذلك الإمام الزركشي في البرهان[4].

---

(1) انظر تفسير الرازي ١٦١/٢٢.

(2) انظر المثل السائر ١٩٩/٢.

(3) انظر الفوائد المشوق ١٥٢.

(4) انظر البرهان ٣١١/٢.

الثاني قوله تعالى {إن كانوا ينطقون} فيه تهكم بهم وتعريضًا بأنه ما لا ينطق ولا يعرب عن نفسه غير أهل للألهية[١].

المثال السادس والثلاثون

قوله تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]

وأيوب أي واذكر أيوب وكان الله قد سلط عليه الدنيا فشكره سبحانه ثم ابتلاه ببلاء شديد في بدنه وأهله وماله فصبر إذ نادى ربه أي المحسن إليه في عافيته وضره ﴿أني مسني الضر﴾ أصابه مرض غير منفر وغير مخل بالعصمة.

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فافعل بي ما يفعل الرحمن بالمضرور وهذا تعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بأبلغ صفاتها ولم يصرح فكان ذلك ألطف في السؤال فهو أجدر بالنوال[٢].

يتضح مما سبق أن في الآية الكريمة تعريضاً لطيفاً من سيدنا أيوب حيث ذكر ضره الذي يقتضي الرحمة وذكر ربه بابلغ صفات الرحمة وهذا تعريض منه بطلب الرحمة من الله تعالى أبلغ من التصريح.

---

(١) انظر التحرير والتنوير ١٠١/٨.

(٢) انظر الكناية والتعريض للإمام أبي منصور الثعالبي ص ٥٩ وانظر نظم الدرر ١٠٤/٥ وانظر تفسير السعدي ٥٢٨.

المثال السابع والثلاثون

قوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] المعنى ألم تعلموا شيئًا فحسبتم أنما خلقناكم بغير حكمة حتى أنكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة أى عابثين أو مفعول له أى للعبث وهو ما خلا عن الفائدة مطلقًا أو الفائدة المعتد بها ﴿ترجعون﴾ تبعثون[1]. في قوله ﴿أفحسبتم﴾ استفهام ورد على جهة الإنكار وهو مجاز فيه وهو دال عليه من جهة الوضع ولكنه تعريض بالكفار في إنكار المعاد الأخروي وليس دالا عليه من جهة مجازة ولا حقيقته وإنما هو مفهوم من جهة القرينة[2].

يتضح مما سبق أن التعريض في قوله {أفحسبتم} وهو تعريض بالكفار في إنكار البعث.

المثال الثامن والثلاثون

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ [الفرقان: ٦٣]

عباد الرحمن كلام مستأنف لبيان أوصاف خلص عباد الله تعالى وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته سبحانه والسجود له وإضافتهم إلى الرحمن دون غيره من أسمائه تعالى وضمائره عز وجل لتخصيصهم برحمته أو لتفضيلهم على من عداهم

---

(١) انظر تفسير الألوسي ٧١/١٨.

(٢) انظر الكناية والتعريض ص ٥٨ وانظر الطراز ٣٩٥/١.

لكونهم مرحومين منعمًا عليهم كما يفهم من فحوى الإضافة إلى مشتق وفي ذلك تعريض بمن قالوا وما الرحمن {يمشون على الأرض هونا} الهون مصدر بمعنى اللين والرفق أي يمشون هينين في تؤده وسكينة ووقار وحسن سمت لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرًا وبطرًا ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ السفهاء وقليلو الأدب قالوا سلامًا بيان حالهم في المعاملة إثر بيان حالهم في أنفسهم أو بيان لحسن معاملتهم ولينهم إذا تحقق ما يقتضي خلاف ذلك أي إذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسليمًا منا ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر والظاهر أن المراد مدحهم بالإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام[1].

فالتعريض في لفظة عباد الرحمن ففيها تعريض بالكافرين الذين رفضوا السجود للرحمن وقالوا مستهزئين ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٣٥]

المثال التاسع والثلاثون

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ [الفرقان: ٧٣]

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآنية المنطوية على المواعظ والأحكام ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ أي أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية وفي التعبير بما ذكر دون أكبوا عليها سامعين مبصرين تعريض لما عليه الكفرة والمنافقون إذا ذكروا بآيات

---

(1) انظر تفسير الألوسي ١٩/ ٤٣ - ٤٤.

ربهم والخرور السقوط على غير نظام وترتيب وفي التعبير به مبالغة في تأثير التذكير بهم[1].

فالتعريض في قوله ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ حيث إن في نفى ذلك عن عباد الرحمن تعريضاً بالكافرين والمنافقين وأنهم متصفون بذلك.

المثال الأربعون

قوله تعالى ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]

فسقى لهما غنمهما لأجلهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ ظل شجرة وقيل ظل جدار لا سقف له.

﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ من خزائن كرمك من خير قل أو جل ﴿فَقِيرٌ﴾ أي محتاج وهو خبر إن، وبه يتعلق لما والكلام تعريض لما يطعمه لما ناله من شدة الجوع وإلى كون الكلام تعريضًا ذهب مجاهد[2] وابن جبير[3] وأكثر المفسرين[4] ويدل عليه ما روى عن ابن عباس

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٦/٢٣١. وانظر تفسير الألوسى ١٩ - ٥٢.

(٢) مجاهد بن جبر المكي المقرئ المفسر مولى السائب بن أبي السائب المخزومي كان أحد الأعلام الأثبات ولد سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١٠٣هـ، انظر تهذيب التهذيب للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٠/٤٢ -٤٤ ط دار صادر بيروت.

(٣) سعيد بن جبير الأسدي الوالبي أبو محمد كان من كبار التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه قتله الحجاج سنة ٩٥هـ المرجع السابق ٤/١١ - ١٤.

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ولد =

رضي الله عنهما قال موسى عليه السلام ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال لقد قال هذا وهو أكرم خلق الله عليه ولقد افتقر إلى شق التمرة ولزق بطنه بظهره من شدة الجوع[١][٢].

مما سبق يتضح أن في قول سيدنا موسى {رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير} تعريضاً بشدة جوعه وطلبه ما يطعمه وهذا أدب رفيع في الدعاء.

المثال الحادى و الأربعون

قوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ولا تجادلوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالتي هي أحسن الخصلة التي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالإفراط في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا من القرآن

قبل الهجرة بثلاث سبعين وكان يلقب بالحبر والبحر لكثرة علمه توفي سنة ٦٨هـ، انظر أسد الغابة - للإمام محمد بن محمد بن الأثير ٣ - ٢٩٠ - ٢٩٣ط الشعب.

(١) انظر البحر المحيط ١٠٦/٧ وانظر تفسير الألوسي ٦٣/٢٠ - ٦٤.

(٢) أخرجه الإمام محمد بن عبد الواحد المقدسي في الأحاديث المختارة ١٠ - ١٥٢، ط مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة الأولى ١٤١٠هـ وانظر تفسير الألوسي ٦٤/٢٠.

وأنزل إليكم أي وبالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل وهذا القول نوع من المجادلة بالتي هي أحسن.

﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له في الألوهية ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي مطيعون خاصة كما يؤذن به تقديم له وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله تعال[1].

فالتعريض في قوله ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ تعريض بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله وكان الأحرى بهم أن يفردوا الله تعالى بالعبادة.

المثال الثاني والأربعون

قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

أي وجعلنا منهم أئمة رؤساء في الخير سوى الأنبياء عليهم السلام وقيل هم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والأحكام إلى طريق الحق أو يهدونهم إلى ما فيه من دين الله تعالى وشرائعه عز وجل بأمرنا إياهم بأن يهدوا على القول بأنهم أنبياء أما الثاني فذلك على حد قوله تعالى لعلماء الأمة ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

---

[1] انظر تفسير أبي السعود ٤٢/٧. انظر تفسير الألوسي ٢١/ ٢ – ٣.

لما صبروا على ترك الدنيا أو على مشاق الطاعة ومقابلة الشدائد في نصرة الدين وكانوا بآياتنا الموجودة في تضاعيف الكتاب أو المراد ما يعم الآيات التكوينية ﴿يوقنون﴾ أي يوقنون بها لإمعانهم فيها النظر لا بغيرها من الأمور الباطلة وهو تعريض بكفرة أهل مكة[١].

فالتعريض في قوله ﴿وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ وهو تعريض بالكافرين من أهل مكة بأنهم لا يوقنون بآيات الله.

المثال الثالث والأربعون

قوله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب ٢٣]، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أي فيما عاهدوا الله عليه نذر رجال من الصحابة إذا لقوا حربًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثبتوا ويقاتلوا حتى يستشهدوا.

﴿منهم من قضى نحبه﴾ أي مات شهيدًا كحمزة[٢].

وقضاء النحب صار عبارة عن الموت لأن كل حى من المحدثات لابد له أن يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته ﴿ومنهم من ينتظر﴾ أي الموت على الشهادة وما بدلوا تبديلا أي وما بدلوا العهد لا المستشهدون ولا

---

(١) انظر تفسير الألوسي ١٨٣/٢١.

(٢) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أسد الله وأسد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى بأبي عمارة شهد بدرًا وبنى قينقاع واستشهد في غزوة أحد في شوال في السنة الثالثة للهجرة. انظر الطبقات الكبرى للإمام محمد بن سعد بن منيع ٨/٣ – ١٠ ط دار صادر بيروت الأولى ١٩٦٨م تحقيق د/ إحسان عباس.

من ينتظر الشهادة وفيه تعريض لمن بدلوا من أهل النفاق ومرضى القلوب[1].

يتضح مما سبق أن قوله ﴿وما بدلوا﴾ تبديلا التي هي وصف للمؤمنين الصادقين فيه تعريض بالمنافقين ومرضى القلوب المبدلين.

المثال الرابع والأربعون

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨] ولما سبق ما تضمن الوعيد وبعض أهوال القيامة كان ذلك إنذارًا بين أن الإنذار إنما يجدي وينفع من يخشى الله بالغيب أي بالسر أو حال غيبه عنهم ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أي راعوها كما ينبغي فهؤلاء ينفعهم الإنذار والتحذير دون غيرهم من أهل التمرد والعناد ﴿ومن تزكى﴾ طهر نفسه من أدناس المعاصي والأوزار نفعه يعود على نفسه كما أن من تدنس بالمعاصي فضرر تدنسه على نفسه ﴿إلى الله المصير﴾ لا إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكًا فيجازيهم على تزكيهم أحسن الجزاء والتزكي شامل للخشية وإقامة الصلاة فالآية حث عليها[2].

وفي الآية تعريض ذكره الإمام الزركشي حيث قال بعد ذكر الآية المقصود التعريض بذم من ليست له هذه الخشية وأن يعرف أنه لفرط عناده كأنه لا أذن له يسمع بها ولا قلب له يعقل به وأن الإنذار له كلا

---

(١) انظر الكشاف ٣/٥٤١هـ وتفسير النسفي ٣/٣٠٢.

(٢) انظر البحر المحيط ٧/٢٩٤.

إنذار[١] فالتعريض واضح في قوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ﴾ فهو تعريض بالكفار الذين لا سمع لهم ولا عقل نافع.

المثال الخامس والأربعون

قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨]

أي فتأمل نوعًا من التأمل في أحوالها وهو في نفس الوقت على غرار تأمل الكاملين في خلق السماوات والأرض وتفكرهم في ذلك إذ هو اللائق به عليه السلام لكنه أوهمهم أنه تفكر في أحوالها من الاتصال والتقابل ونحوهما من الأوضاع التي تدل بزعمهم على الحوادث ليترتب عليه ما يتوصل به إلى غرضه الذي يكون وسيلة إلى إنقاذهم مما هم فيه.

﴿إني سقيم﴾ أراد أنه سيسقم ولقد صدق عليه السلام فإن كل إنسان لابد أن يسقم وكفى باعتلال المزاج أول سريان الموت في البدن سقامًا وقيل أراد مستعد للسقم الآن أو خارج المزاج عن الاعتدال خروجًا قل من يخلو عنه أو سقيم القلب بكفركم والقوم توهموا أنه أراد قرب اتصافه بسقم لا يستطيع معه الخروج معهم إلى معبدهم وهو على ما روى عن سفيان[٢] وابن جبير وسقم الطاعون فإنها فسرا سقيم بمطعون

---

(١) انظر البرهان ٢/٣١٤ وانظر هذا التعريض أيضا في الكناية والتعريض ص ٥٩.

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي روى عن أبي إسحاق الشيباني والأعمش وروى عنه ابن المبارك وابن مهدي وغيرهما توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ انظر تهذيب التهذيب للإمام ابن حجر العسقلاني ٤/١١١ - ١١٥، =

وكان على ما قيل أغلب الإسقام عليهم وكانوا شديدي الخوف منه لاعتقادهم العدوى فيه وهذا وقوله ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وقوله في زوجته سارة هي أختي من معاريض الأقوال ففي الحديث (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب)[1].

ولا يعد هذا كذبًا في الحقيقة وتسميته في الحديث كذبًا بالنظر لما فهم الغير منه لا بالنسبة لما قصده المتكلم وتسميته ذنبًا في حديث الشفاعة[2] قيل لأنه ينكشف لإبراهيم عليه السلام أنه كان منه خلاف الأولى لا أن كل تعريض هو كذلك فإنه قد يجب[3].

المثال السادس والأربعون

ط دار صادر بيروت.

(1) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد باب من الشعر حكمة عن عمران بن حصين وقال الألباني صحيح موقوفًا انظر الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ٢٢٧/١ تحقيق الإمام محمد ناصر الدين الألباني ط دار الصديق الأولى ١٤٢١هـ.

(2) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة (يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهمون بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا وفيه فيأتون إبراهيم فيقول إني لست هناكم ويذكر ثلاث كلمات كذبهن)
وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها بلفظ (فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها انظر صحيح مسلم ١٨٠/١.

(3) انظر تفسير الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٠١/٢٣ - ١٠٢ ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]

الثلاثة عطف بيان لعبادنا أو بدل منه وخصهم بالعبودية لمزيد شرفهم ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ أي أولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين على أن الأيدي مجاز مرسل[١] عن القوة والأبصار جمع بصر بمعنى بصيرة وهو مجاز أيضًا لكنه مشهور فيه أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة، على أنه ذكر الأيدي من ذكر السبب والأداة المسبب والأبصار بمعنى البصائر مجاز عما يتفرع عليها من العلوم كالأول أيضًا وفي ذلك على الوجهين تعريض بالجهلة والبطالين أنهم كفاقدي الأيدي والأبصار وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما[٢].

يتضح مما سبق أن في لفظ ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ سواء أريد بالأيدي القوة في الطاعة أو الأعمال الجليلة وسواء أريد بالأبصار أو العلوم الشريفة وهما في الجمع مجاز مرسل في هذا اللفظ على هذه الوجوه تعريضاً بالجهلة والبطالين بأنهم كفاقدي الأيدي والأسفار توبيخًا لهم على تركهم المجاهدة والتأمل مع قدرتهم على ذلك.

---

(١) المجاز المرسل كلمة استعملت فى غير معناها الأصلى لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى انظر البلاغة الواضحة ١١٠.

(٢) انظر الكشاف ٤/١٠٠ - ١٠١ وتفسير الألوسي ٢٣/٢١٠.

المثال السابع والأربعون

قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]

لما انتهت الآيات السابقة باستعاذة سيدنا موسى عليه السلام بربه من فرعون وغيره من الكافرين بينت هذه الآية أن الله قيض لسيدنا موسى من تصدى لفرعون وحاجة في أمر سيدنا موسى ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ الظاهر أنه كان من عشيرة فرعون وأقاربه ﴿يكتم إيمانه﴾ يخفيه من فرعون وملئه ﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله﴾ الاستفهام للإنكار عليهم أن يقتلوا رجلا لا ذنب له إلا نطقه بكلمة الحق ﴿وقد جاءكم﴾ بالمعجزات الواضحة من ﴿ربكم﴾ لا ربه وحده وهذا استدراج لهم بالاعتراف.

﴿وإن يك كاذبا فعليه كذبه﴾ احتاط الرجل لنفسه بتلطف في الاحتجاج حتى لا يعرف اللعين حقيقة أمره فيبطش به فقال إن كان هذا الرجل كاذبًا فوبال كذبه عليه لا عليكم ﴿وإن يك صادقًا يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ أي فلا أقل أن يصبكم بعض ما يعدكم.

وفي هذا مبالغة في التحذير فإذا حذرهم من إصابة البعض أفاد أنه هلك مخوف فما بال الكل وفي تقديم الكاذب وذكر لفظ البعض من الصدق إظهار الإنصاف معهم حتى يسمعوا منه.

﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾

في هذه الجملة تعريض من جهتين:

الأولى: تعريض يعلو شأن سيدنا موسى ومعناه أن الله اصطفى موسى عليه السلام للرسالة وأجري المعجزات على يديه ومن هذا شأنه لا يكون مسرفا ولا كذابًا.

الثانية تعريض بفرعون بأنه هو المسرف الكذاب فهو مسرف في القتل والفساد ﴿كذاب﴾ في ادعاء الألوهية لا يهديه الله سبيل الصواب[1].

المثال الثامن والأربعون

قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]

قال مؤمن آل فرعون لقوم يا قوم اتبعوني فيما دللتكم عليه أهدكم سبيل الرشاد سبيلاً يصل به إلى المقصود وفيه تعريض شبيه بالتصريح بأن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي[2].

---

(١) انظر البحر المحيط ٤٤٢/٧ وانظر تفسير الألوسي ٦٣/٢٤ - ٦٥ وانظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبه الزحيلى ١١٣/٢٤ - ١١٤ ط دار الفكر بيروت الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١ وانظر أعلام خالدة في القرآن الكريم لأستاذنا الأستاذ الدكتور شحات حسيب الفيومي ص ٥٧ ط دار الطباعة المحمدية مصر الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) انظر الكشاف ١٧٢/٤ وتفسير النسفي ٧٥/٤ وانظر نظم الدرر ٥١٦/٦ وتفسير أبي السعود ٢٧٧/٧.

المثال التاسع والأربعون

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]

﴿الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب من الإخلال به أي يحفظونها مراعاة للأدب أو خشية من مخالفة النهي.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ امتحن فلان لأمر كذا وجرب له وجرب النهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى أنهم صبره على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها وقيل ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى ليثبت ويظهر تقواها ويعلم أنهم متقون لأن حقيقة التقوى لا تظهر إلا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل أخلصها للتقوى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لذنوبهم وأجر عظيم لغضهم أصواتهم وطاعاتهم[1].

وهذه الآية في نظمها الذي رتب عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسمًا لأن المؤكدة وتصير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معًا والمبتدأ اسم الإشارة استئناف الجملة المستودعة، هو جزاؤهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهمًا أمره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غض أصواتهم وفي الإعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه

---

(1) انظر تفسير الألوسي ١٣٧/٢٦ - ١٣٨.

وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء[١].

فيتضح مما سبق أن الآية الكريمة تشتمل على أمور ثلاثة **الأول** الثناء على الغاضين أصواتهم عند رسول الله وبيان عظم أجرهم عند الله.

الثاني بيان عظم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلو قدره.

الثالث: التعريض بالرافعين أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم ارتكبوا إثما عظيمًا وأنهم يستحقون ضد ما استحق الغاضون.

المثال الخمسون

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات ١٥]

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذ أوقعه فى الشك مع التهمة وجعل عدم الارتياب متراخياً عن الإيمان مع أنه لا ينفك عنه لإفادة نفي الشك فيما بعد عند اعتراء شبهة كأنه قيل آمنوا ثم لم يعترهم ما يعترى الضعفاء بعد حين

---

(١) انظر الكشاف ٣٥٨/٤ – ٣٥٩ وتفسير النسفي ١٦٢/٤ وانظر تفسير الألوسي ١٣٨/٢٦.

وهذا لا يدل على أنهم كانوا مرتابين أولا بل يدل على أنهم كما لم يرتابوا **أولاً** لم يحدث لهم ارتياب.

ثانيا والحاصل أنهم آمنوا ثم لم يحدث لهم ريبة

وقال بعض الأجلة عطف عدم الارتياب على الإيمان من باب "ملائكته وجبريل"[1] تنبيها على أنه الأصل فى الإيمان فكأنه شئ آخر أعلى منه كائن فيه وأيا ما كان ففى الكلام تعريض بأولئك الأعراب.

﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله﴾ فى طاعته على تكثر فنونها من العبادات الدينية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معاً كالحج والجهاد تقديم الأموال على الأنفس من باب الترقى من الأدنى إلى الأعلى وجوز أن يقال قدم الأموال لحرص الكثير عليها حتى أنهم يهلكون أنفسهم بسببها مع أنه أوفق نظراً إلى التعريض بأولئك حيث إنهم لم يكفهم إنهم لم يجاهدوا بأموالهم حتى جاءوا وأظهروا الإسلام حباً للمغانم وعرض الدنيا بعد أولئك هم الصادقون" أى الذين صدقوا فى دعوى الإيمان

لا أولئك الأعراب[2] وفى هذه اللفظة تعريض بأن هؤلاء الأعراب هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح[3].

---

(١) الآية ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ البقرة ٩٨.

(٢) انظر الألوسي ١٦٨/٢٦ - ١٦٩.

(٣) انظر الكشاف ٣٧٩/٤ وقد ذكر هذا التعريض فى ضمن شرحه للآية السابقة ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ الحجرات ١٤.

فيظهر أن فى الآية تعريضان **الأول** فى قوله ﴿وإنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ فهو وصف للمؤمنين المستحقين لهذا الاسم بأنهم هم الذين رسخ الإيمان في قلوبهم ولم يخالطهم شك ففيه تعريض بالأعراب الذين ادعوا الإيمان ولم يرسخ فى قلوبهم ولم يقوموا بما يوجبه من جهاد بالنفس والمال فى سبيل الله.

الثانى فى قوله ﴿أولئك هم الصادقون﴾ فهو تعريض بكذب أولئك الأعراب.

المثال الحادى و الخمسون

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم ٨]

يا أيها الذين آمنوا "توبوا" من الذنوب توبة نصوحاً.

أى بالغة النصح ووصف التوبة بذلك على سبيل الإسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على وجهها والتوبة استجمعت ثلاثة شروط الندم على المعصية والإقلاع عنها والعزم على عدم العودة إليها ورد المظالم إذا كانت متعلقة بآدمى.

﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات﴾

"يوم لا يخزى الله النبى" تعريف النبي للعهد والمراد به سيد الأنبياء محمد ﷺ والمراد بنفي الإخزاء إثبات الكرامة والعز أخزى الله فلانا أى فضحه.

"والذين آمنوا معه" عطف على النبي ﷺ وفيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحماد على المؤمنين على أن عصمهم من مثل حالهم والمراد بالإيمان فرده الكامل "نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم" وذلك عند المرور على الصراط يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفرن لنا إنك على كل شئ قدير" يقولون ذلك إذا طفئ نور المنافقين وقيل يقولونه تقربًا إلى الله تعالى مع تمام نورهم وقيل يقوله من يمر على الصراط حبواً وزحفاً[1].

مما سبق يظهر أن قوله ﴿يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه﴾ تعريض يخزى أهل الكفر والفسوق فى يوم القيامة.

المثال الثانى والخمسون

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة ١٢]

ذكر إحدى الحكم لهذا الحمل أى حمل سيدنا نوح ومن معه فى السفينة وهى حكمة تذكير البشرية على تعاقب الأعصار ليكون لهم باعثاً على الشكر وعظة لهم من أسواء الكفر ليخبر بها من علمها قوما لم يعلموها فتعيها أسماعهم.

والمراد بأذن أذان واعية والوعي العلم بالمسموعات أى وليعلم خبرها أذن موصوفة بالوعى وهذا تعريض بالمشركين إذا لم يتعظوا

---

[1] انظر الكشاف ٥٧٤/٤ وتفسر النسفى ٢٦١/٤ وتفسير أبى السعود ٨- ٢٦٩، وانظر تفسير الألوسى ١٥٧/٢٨ - ١٦١.

بخبر الطوفان والسفينة التى نجا بها المؤمنون فتلقوه كما يتلقون القصص الفكاهية[١].

فالتعريض هو فى قوله ﴿وتعيها أذن واعية﴾ وهو تعريض بالمشركين فى عدم اتعاظهم بالطوفان والسفينة ولم ينتفعوا به فيؤمنوا.

المثال الثالث والخمسون

قوله تعالى ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً﴾ [نوح ٢٥]

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ بيان أن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم النار لم يكن إلا من أجل خطيئاتهم فمن تعليليه "أغرقوا فأدخلوا نارا" أى نار البرزخ وفيه دليل على عذاب القبر فمن مات فى ماء أو نار أو أكلته السباع أصابه ما يصيب المقبور.

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً﴾ تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وأنها غير قادرة على نصرتهم وتهكم بهم كأنه قال فلن يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله[٢].

"فالتعريض كما هو واضح فى قوله ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً﴾ فهو تعريض بالكفار فى اتخاذهم آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم ومنعهم من عذابه.

---

(١) انظر التحرير والتنوير ١٢٣/١٤.

(٢) انظر الكشاف ٦٢٢/٤ – ٦٢٣ وتفسير أبى السعود ٤١/٩ وتفسير الألوسى ٧٩/٢٩.

المثال الرابع والخمسون

قوله تعالى ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ{٢٩} انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ{٣٠} لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ المرسلات ٣٠ – ٣١.

هو ظل دخان جهنم كما قاله جمهور المفسرين

ذى ثلاث شعب أى متشعب ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم لا ظليل أى لا مُظل وهو صفة ثانية لظل وفيه تعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين[1] ﴿ولا يغنى من اللهب﴾ أى غير مفيد فى وقت من الأوقات من حر الله شيئا[2].

فالتعريض فى قوله ﴿لا ظليل﴾ فهو تعريض بأن ظلهم ليس كظل المؤمنين فهو غير مفيد لهم كظل المؤمنين بل ضار بهم.

المثال الخامس والخمسون

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس ٣– ٤]

أى أى شئ يجعلك داريا بحال هذا الأعمى[3] لعله يتطهر بما يتلقى من الشرائع من بعض أوضار الإثم أو يذكر أى يتعظ فتنفعه الذكرى أى ذكراك وموعظتك.

---

[1] انظر الكشاف ٦٨١/٤، وانظر تفسير الألوسى ١٧٥/٢٩.

[2] انظر تفسير الألوسى ١٧٥/٢٩.

[3] هو سيدنا عمرو بن قيس بن أم مكتوم ويقال عبد الله وعمرو أكثر واسم أم مكتوب عاتكة كان من المهاجرين الأولين استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة فى عامة غزواته واستشهد بالقادسية، انظر الإصابة ٦٠٠/٤– =

وفى الآية تعريض وإشعار بأن من تصدى صلى الله عليه وسلم لتزكيهم وتذكيرهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى أصلاً فهى كقولك لمن يقرر مسألة لمن لا يفهمها وعنده آخر قابل لفهمها لعل هذا يفهم ما تقرر فإنه يشعر بإنه قصد تفهيم غيره وليس بأهل لما قصده[1].

فالتعريض فى قوله ﴿لعله يزكى أو يذكر﴾ فهو تعريض بأن صناديد الشرك الذين تصدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزكيتهم لا يرجى منهم تزكى أصلاً.

٦٠١،

نزلت فيه هذه الآيات فقد أخرج الترمذى فى كتاب التفسيرى باب تفسير سورة عبس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت (عبس وتولى) فى ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله أرشدنى وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول أترى بما تقول بأسا فيقال لا ففى هذا أنزل" قال أبو عيسى هذا حديث غريب وقد روى عن هشام بن عروة عن أبيه دون ذكر عائشة (قال الشيخ الألبانى فى تعليقه على سنن الترمذى عن هذا الحديث صحيح الإسناد انظر سنن الترمذى للإمام محمد بن عيسى الترمذى ٤٣٢/٥ ط دار إحياء التراث العربى بيروت بتعليق الإمام الألبانى، وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم فى المستدرك فى كتاب التفسير باب تفسير سورة عبس، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

انظر المستدرك ٥٥٨/٢ مع التلخيص للإمام الذهبى ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

(١) انظر تفسير الألوسى ٤٠/٣٠ - ٤١.

الخاتمة

تتضمن أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال البحث.

من خلال دراستي لموضوع التعريض توصلت إلى النتائج التالية:

١) التعريض يكون أبلغ من التصريح وأكثر قبولاً خاصة إذا كان التصريح مثيراً للغضب والنقد والاتهام. وكذلك فإن التعريض وسيلة لإقناع الخصم واستدراجه بأسلوب لطيف غير خشن.

٢) التعريض لا يوصف بكونه حقيقة أو مجازاً بل هو من مستتبعات التراكيب.

٣) التعريض بينه وبين الكناية عموم وخصوص وجهي.

٤) التعريض يقى من الوقوع فى الكذب كما فى قصة سيدنا إبراهيم فى قوله تعالى ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ ﴿إنى سقيم﴾ فهذا من باب المعاريض لأن الكذب مُحال على الأنبياء.

٥) ورد التعريض بأحوال الكفرة كثيراً فى القرآن تهكماً بهم وحطاً لمنزلتهم ووصفاً لهم بالجهل وعدم العقل ونحو ذلك.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دكتورة/ نبيلة حامد محمد على

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم جل من أنزله.
- الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، ط دار الكتب العلمية بيروت، الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- الأحاديث المختارة للإمام محمد بن عبد الواحد المقدسى ط مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة الأولى ١٤٢٠م.
- الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخارى ط دار الصديق الأولى ١٤٢١هـ تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى ط دار إحياء التراث العربى بيروت الثانية ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة للإمام محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ط الشعب.
- الإصابة فى تمييز الصحابة للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى ط دار الجيل بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م تحقيق على محمد البجاوى.
- أعلام خالدة فى القرآن الكريم لأستاذنا الأستاذ الدكتور/ شحات حسيب الفيومى ط دار الطباعة المحمدية، القاهرة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

• الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب وغيرهم لخير الدين الزركلى ط دار العلم للملايين، بيروت الخامسة ١٩٨٠م.

• الإغريض فى الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض للإمام على بن عبد الكافى السبكى تحقيق د/محمود توفيق سعد ط مطبعة الأمانة مصر الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

• الإيضاح فى علوم البلاغة للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزوينى، ط دار إحياء العلوم بيروت الرابعة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، تحقيق الشيخ بهيج غزاوى.

• البحر المحيط فى التفسير للإمام محمد بن يوسف المعروف بأبى حيان ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود وآخرون.

• البرهان فى علوم القرآن للإمام محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى ط دار المعرفة بيروت ١٣٩١هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

• البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها للشيخ عبد الرحمن الميدانى ط دار القلم دمشق الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

• البلاغة الواضحة للأستاذين على الجارم ومصطفى أمين ط دار المعارف، لبنان.

• التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان للإمام الحسين بن عبد الله الطيبى ط دار الجيل بيروت الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م تحقيق عبد الستار زموط.

• التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور ط دار سحنون تونس.

• التعريفات للإمام على بن محمد الجرجانى ط دار الكتاب العربى، بيروت الأولى ١٤٠٥م.

• التفسير الكبير للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

• التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبه الزحيلى ط دار الفكر بيروت الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

• تهذيب التهذيب للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى ط دار صادر بيروت.

• تهذيب اللغة للإمام محمد بن أحمد الأزهرى، ط دار إحياء التراث العربى بيروت الأولى ٢٠٠١م.

• تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدى ط مؤسسة الرسالة، بيروت الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

• الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى ط دار إحياء التراث العربى بيروت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

• الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخارى ومعه فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى ط دار المعرفة بيروت.

• الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد القرطبى، ط دار إحياء التراث العربى بيروت ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

• جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمى ط دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ- ١٩٧٧م.

• الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى ط مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند الثانية ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

• روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للإمام محمود شكرى الألوسى البغدادى ط دار إحياء التراث العربى بيروت.

• سر الفصاحة للإمام عبد الله بن محمد بن سنان ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢م.

• سنن الترمذى للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى ط دار إحياء التراث العربى بيروت تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى.

• شرح الإمام يحى بن شرف النووى لصحيح الإمام مسلم ط دار إحياء التراث بيروت الثانية ١٣٩٢م.

• الطبقات الكبرى للإمام محمد بن سعد بن منيع الهاشمى ط دار صادر بيروت الأولى ١٩٦٨م تحقيق د/ إحسان عباس.

• طبقات المفسرين للإمام محمد بن أحمد الداودى ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

• الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوى ط الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠٠٩م تقديم د/ إبراهيم الخولى.

• علم البيان دراسة بلاغية للدكتور بسيونى فيود ط مؤسسة المختار القاهرة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

• فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن على الشوكانى ط دار المعرفة بيروت الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

• الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان للإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية ط مكتبة المتنبي القاهرة.

• الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشرى، ط دار إحياء التراث العربى بيروت تحقيق عبد الرزاق المهدى.

• الكليات معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية للإمام أيوب بن موسى الكفوى ط مؤسسة الرسالة بيروت الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م تحقيق عدنان درويش ومحمد المصرى.

• لسان العرب للإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ط دار صادر بيروت.

• المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر للإمام نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ط المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥م تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.

• مختار الصحاح للإمام محمد بن عبد القادر بن أبى بكر الرازى ط مكتبة لبنان نشرون بيروت تحقيق محمود خاطر ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

• مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد النسفى ط دار القلم دمشق، الأولى ١٤١٥هـ.

• المستدرك على الصحيحين للإمام أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ومعه التلخيص للإمام شمس الدين الذهبى ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

• المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى للإمام أحمد بن محمد الفيومى ط المكتبة العلمية بيروت.

• معجم الأدباء للإمام ياقوت بن عبد الله الحموى ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

• معجم الفروق اللغوية للإمام أبى هلال الحسن بن عبد الله العسكرى ط مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، شوال ١٤١٢هـ- تنظيم الشيخ بيت الله بياتى.

• معجم المؤلفين لمحمد رضا كحالة الناشر دار إحياء التراث العربى بيروت.

• مفتاح العلوم للإمام أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر السكاكى ط دار الكتب العلمية بيروت.

• نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد البقاعى ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م تحقيق عبد الرزاق غالب المهدى.

• وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للإمام أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ط دار صادر بيروت تحقيق د/ إحسان عباس.

الفهرس العام للموضوعات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٣٩٧
المبحث الأول تعريف التعريض والفرق بينه وبين الكناية	٤٠٣
المطلب الأول تعريف التعريض لغة واصطلاحاً وأهميته وتعريف الكناية لغة واصطلاحاً	٤٠٣
المطلب الثانى الفرق بين الكناية والتعريض	٤٠٩
المبحث الثانى أقسام التعريض	٤١٧
المطلب الأول القسم الأول وأمثلته	٤١٧
المطلب الثانى القسم الثانى وأمثلته	٤٣٩
الخاتمة	٥٠٥

فهرس المراجع	٥٠٧
الفهرس العام للموضوعات	٥١٦